

تأليف

صاحب السمو الملكي الأمير الدكتور
فيصل بن مشعل بن سعود بن عبدالعزيز آل سعود

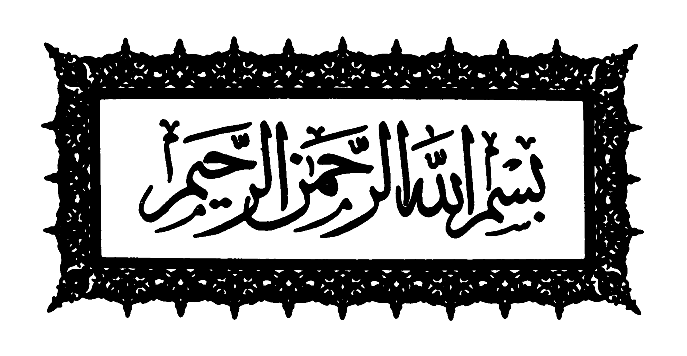
ح فيصل بن مشعل بن سعود بن عبد العزيز آل سعود، ١٤٢٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
آل سعود، فيصل بن مشعل بن سعود بن عبد العزيز
سر دوام النعم . - ط٢.- الرياض.
١٨٨ص ؛ ١٤ x ٢١سم
ردمك : ٨-٨٧٨-٢٠-٩٩٦٠
١ - الشكر ٢- الوعظ والإرشاد أ- العنوان
ديوي ٢١٢,٢ ٢٢/٠٢٠٩

ردمك : ٨-٨٧٨-٢٠-٩٩٦٠ رقم الإيداع : ٢٢/٠٢٠٩

الطبعة الرابعة

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

لمراسلة المؤلف العنوان : ص.ب : ٩٠٠٠٠ - الرياض : ١١٦٩٢


بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها . . ﴾

﴿وما بكم من نعمة فمن الله . . ﴾

﴿كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور﴾

﴿لئن شكرتم لأزيدنكم . . ﴾

﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾

فنسألك أن تعيننا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

قال الله تعالى :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

[الأعراف : ٤٣]

قال الله تعالى :

﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾

[آل عمران : ٨]

إهداء

إلى كل عبد مسلم يسأل الله دوام النعمة، وإلى كل من يريد أن يعرف كيفية الشكر الذي يديم النعم، وإلى من وهبه الله نعماً لا يعلم بها إلا الكريم، وإلى من يريد أن يزيد الله له النعم ويديمها عليه.

أهدي جهد من أغدق الله عليه النعم، ويعترف بكثرتها كماً وكيفاً، هذا الكتيب المتواضع سائلاً المولى عَزَّوَجَلَّ أن ينفع به، ويجعلني وإياهم ممن إذا أُبتليَ صبر وإذا أُعطيَ شكر، وأن يغفر الذنوب، ويستر العيوب، إنه سميع مجيب.

ربنا لك الحمد

اللهم ربنا لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا، وهديتنا وعلمتنا، وأنقذتنا وفرَّجت عنا.

لك الحمد بالإيمان، ولك الحمد بالإسلام، ولك الحمد بالقرآن، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة.

كَبَتَّ عدونا، وبسطت رزقنا، وأظهرت أمننا، وجمعت فُرقتنا، وأحسنت معافاتنا، ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا.

فلك الحمد على ذلك حمداً كثيراً.

لك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا في قديم أو حديث، أو سر أو علانية، أو خاصة أو عامة، أو حي أو ميت، أو شاهد أو غائب.

لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[1].

---

(١) قال الشيخ الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه النفيس عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص١٦٣: كان الحسن البصري رحمه الله إذا ابتدأ حديثه يقول: الحمد لله، اللهم ربنا ... فذكره.

الثناء على الله

الحمد لله رب العالمين، حمداً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، عدد خلقه، ورضا نفسه، ومداد كلماته، وزنة عرشه.

الحمد لله عدد ما لهجت الألسن بذكره.

الحمد لله عدد ما نطق اللسان، وعدد ما رُفع الأذان.

الحمد لله عدد ما وزن الميزان، وعدد ما قُرئ القرآن.

الحمد لله عدد الريش والوبر، وعدد الرمل

والحجر.

الحمد لله عدد الرمش والشعر، أضعاف أضعاف زبد البحر.

الحمد لله عدد ما مشت الأقدام، وعدد ما سطّرت الأقلام.

الحمد لله عدد ما صُفّت الصفوف، والحمد لله عدد ما خطّت الحروف.

الحمد لله عدد السماوات وما أظللن، والحمد لله عدد الأرضين وما أقللن.

الحمد لله عدد ما تعاقب الليل والنهار.

الحمد لله عدد ما صلى المصلون، وصام

الصائمون، ولبّى الحجاج والمعتمرون.

الحمد لله عدد ما طاف الطائفون، وعدد ما سعى الساعون.

الحمد لله عدد ما طلعت الشمس، وظهر القمر.

الحمد لله عدد ما غربت الشمس، وأفل القمر.

الحمد لله عدد ما كان، وما يكون، وما سيكون.

الحمد لله حتى يرضى، والحمد لله إذا رضي، والحمد لله بعد الرضى، وسبحان الله

وبحمده، سبحان الله العظيم عدد ذلك، ولا إله إلا الله عدد ذلك، والله أكبر عدد ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد ذلك.

وأستغفر الله العظيم، الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه عدد ذلك.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.



تقديم

الحمد لله، وصلى الله وسلم على عبده ومصطفاه، محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد ..

إن نعم الله ﷻ على عباده كثيرة جداً، وأجلّ هذه النعم: نعمة الهداية إلى الإسلام - وأعْظِمْ بها من نعمة- ودونها نعم جمّة، يقف العبد الضعيف بعقله المحدود مشدوهاً أمامها، فاغراً فاهُ، ولا يحصيها إلا الله ﷻ الذي أسبغها.

ومعلوم أن النعم من الله ﷻ، فإذا كان الأمر كذلك، فإن على العبد أن يحرص على دوام هذه النعمة، ودوام النعم لا يكون إلا بنعمة أخرى، وهي نعمة (**الشكر**)، وقد جاء بيانها صريحاً في قوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1] ، فالشكر سر دوام النعم وبقائها، ومن أُلهم الشكر لم يُحرم الزيادة .

ومنزلة الشكر من أعلى المنازل ، أمر

---

[1] قال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (٩٨/٣) والسيوطي في الدر المنثور (٧/٥): "أخرج ابن أبي حاتم عن الربيع في قوله **﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم﴾** قال: أخبر موسى عليه السلام عن ربه عز وجل أنهم إن شكروا النعمة، زادهم من فضله، وأوسع لهم من الرزق، وأظهرهم على العالم، وزادهم من طاعته".

الله به ، ونهى عن ضده ، وأثنى على أهله ، ووصف به خواص خلقه ، وجعله غاية خلقه وأمره ، ووعد أهله بأحسن جزائه ، وجعله سبباً للمزيد من فضله ، وحارساً وحافظاً لنعمته ، وأخبر أن أهله هم المنتفعون بآياته ، واشتق لهم اسماً من أسمائه ، فإنه سبحانه هو الشكور ، وهو يوصل الشاكر إلى مشكوره ، بل يعيد الشاكر مشكوراً[1] .

إن شكر النعمة دليل على استقامة المقاييس في النفس البشرية، فالخير يُشكر؛ لأن

(١) انظر تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ٢ / ٦٠٩

الشكر هو جزاؤه الطبيعي في الفطرة المستقيمة، ولا يستغني عن هذه العبادة أحد البتة إلا من حُرم الخير كله -والعياذ با لله-.

ولما كان الأمر كذلك: أحببت الحديث عن هذا الموضوع القيّم، في مسائل مهمة -في نظري- حتى تزكو النفوس وتطهر؛ لأن النفس التي تشكر ا لله على نعمته تراقبه في التصرف بهذه النعمة بلا بطر، ولا استعلاء على البشر، وبلا استخدام للنعمة في الأذى، وهذا مما يزكي النفس، ويدفعها إلى العمل الصالح، والتصرف الحسن في النعمة بما ينميها، ويبارك فيها،

ويرضى الناس عنها وعن صاحبها، فيكونون له عوناً، ويصلح روابط المجتمع فتنمو فيه الثروات في أمان.

ومما يلاحظ أن بعض الناس إذا شكر الله تعالى يكتفي بقوله: الحمد لله والشكر لله دون أن يتبع الفعل القول أو دون أن يفعل في حياته أعمالاً صالحة تكون دليلاً صادقاً على شكره لله عز وجل على نعمه. هذا من جانب، ومن جانب آخر ترى البعض من الناس يتلفظ بكلمات الشكر والثناء لله جل جلاله، وفي نفس الوقت تراه يستعين بهذه النعم التي أسبغها الله عليه في

معصيته ﷻ متناقضاً فيما يدّعيه أنه شاكر لله تعالى، ولذا فقد ركزنا في هذا المبحث على تصحيح هذا المفهوم الخاطئ عند بعض الناس، ودعوتهم إلى القيام بشكر الله على نعمه شكراً حقيقياً يجمع بين القول والفعل، وتحذيرهم من الاستعانة بنعم الله على معاصيه. نسأل الله أن يجعلنا ممن إذا أُعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أخطأ استغفر.

وأخيراً فما كان في هذا المبحث - المتواضع- من صواب فمن الله ﷻ وحده، فهو المانّ به، وما كان فيه من خطأ وزلل فمني

والشـيطان، والله ورسـوله منـه بـراء، وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف

٢٠/٨/١٤١٨هـ

الشكر

(تعريفه وحقيقته)

الشكر في اللغة:

الظهور، من قوله: دابة شكور إذا ظهر عليها من السمن فوق ما تعطى من العلف، والشكران خلاف النكران[1].

وقد وردت مادة (شكر) في القرآن

---

(١) ولذلك فإن الله تعالى يقابل بين الشكر والكفر فهو ضده، ومنه قوله تعالى: ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ سورة إبراهيم آية (٨)، وقوله جَلَّ وَعَلَا ﴿إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم﴾ الزمر آية(٧).

الكريم في (٧٧) موضعاً ما بين فعل، واسم ، ومصدر ، وجمع ، وإفراد ، ومبالغة ؛ لبيان أهمية هذا الخُلُق في حياة الخَلْق.

الشكر في الإصطلاح :

تباينت مقالات أهل العلم رحمهم الله في تعريف الشكر ، ومن أحسن ما قيل فيه ما أُثر عن ذي النون المصري أبو الفيض رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال : **(الشكر لمن فوقك بالطاعة، ولنظيرك بالمكافأة، ولمن دونك بالإحسان والإفضال)**[1].

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٣٩٧.

وقال سهل بن عبد الله : الشكر الاجتهاد في الطاعة ، مع الاجتناب للمعصية في السر والعلانية [١] .

وقيل : هو عكوف القلب على محبة المنعم ، والجوارح على طاعته ، وجريان اللسان بذكره ، والثناء عليه [٢] .

وعن الجنيد : الشكر ألاّ يُعصى الله بنعمه [٣] .

وقال الشبلي: الشكر: التواضع ،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٣٩٨.

(٢) مدارج السالكين ٢ / ٦١٢ .

(٣) مدارج السالكين ٢ / ٦١٢ .

والمحافظة على الحسنات، ومخالفة الشهوات، وبذل الطاعات، ومراقبة جبار الأرض والسموات[1].

وباجتماع هذه المقالات في تعريف الشكر يكون معنى الشكر، وكلها تلتقي في كون الشكر:

الثناء على المنعم بمعروف يوليه، والاعتراف في تقصير الشاكر للمنعم.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٣٩٨.

حقيقة الشكر

هنا نقف يسيراً لنتدبر حقيقة الشكر، ومقولة أهل العلم فيه؛ حتى لا نخطئ حقيقته، وحتى لا نضيع عمرنا فيما لا يوافق الحق.

فما هي حقيقته؟

قال القرطبي رحمه الله: وحقيقة الشكر: الاعتراف بالنعمة للمنعم، وأن لا يصرفها في غير طاعته. وفي هذا قيل:

أنالَكَ رزقَه لتقوم فيه

بطاعتهِ وتشْكُرَ بعضَ حقّهِ

فلم تَشْكُرْ لنعمتهِ ولكنْ

قَوِيتَ على معاصيهِ برزقهِ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (حقيقة شكر الله في العبودية تكون بظهور أثر نعمة الله على لسان عبده : ثناءً واعترافاً ، وعلى قلبه : شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه : انقياداً وطاعة)[١].

فظهر لك أن حقيقة الشكر هي : الاعتراف بالنعمة باطناً، والتحدث بها ظاهراً، وصرفها في مرضاة وليها ومسديها.

---

(١) مدارج السالكين ٢ / ٦١١ .

فمثلاً:

من أنعم الله عليه بنعمة الغنى بالمال ، فعنوان شكره هو القيام بواجب حق الله فيه، من أداء زكاته، ومن الصدقة منه ، والصلة لأقاربه ، والنفقة في وجوه البر والخير ، مع النفقة منه على النفس والأهل والعيال .

وفي هذا المعنى قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ :

(إن هذا المال أتاك حلالاً، فلا يكونن عليك وبالاً، واعلم أن يوم القيامة ذو حسرات، وأكبر الناس حسرة رجل رأى ماله في ميزان غيره، سعد به وارثه ، وشقي به جامعه ، فيا لها حسرة لا تُزال ، وعثرة لا تُقال)[1].

---

(١) انظر الحكم الجامعة لعبد الله بن زيد آل محمود ص : ٥٠٥ - ٥١٢ .

فضيلة الشكر..

للشكر فضائل جمة، وتضافرت نصوص الوحيين (الكتاب والسنة) على بيانها ومعرفة هذه الفضائل لشحذ الهمم والقلوب؛ لتكون شاكرة لله تعالى مطيعة له، ومن هذه الفضائل ما يلي :

١- الشكر نصف الإيمان ..

ولا يكمل إيمان العبد إلا به، وأُثر هذا عن غير واحد من السلف منهم عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، حيث قال: "الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر" ولهذا جمع الله

بينهما في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ في مواضع من كتابه"[1] وفي هذا المعنى ألّف الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه القيّم (عدّة الصابرين وذخيرة الشاكرين)، وقال فيه: "منزلة الشكر من أعلى المنازل، وهي فوق منزلة الرضى وزيادة، فالرضى مندرج من الشكر، والشكر نصف الإيمان، فالإيمان نصفان : نصف شكر ونصف صبر"[2] .

---

(١) في سورة إبراهيم آية رقم (٥)، سورة الشورى آية رقم (٣٣)، سورة سبأ أية رقم (١٩)، سورة لقمان آية رقم (٣١).

(٢) انظر كتاب عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص٨٨.

٢- الشكر طريق الرضا ..

فإذا داوم العبد على الشكر ، رضي الله له شكره، وقبله منه، فرضا الرب عز وجل عن عبده إنما يكون بشكر العبد له، كما قال تعالى: ﴿ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾[1]

٣- الشكر قرين للعبادة ..

بل هو دليلٌ على صدقها ، ولهذا يُقرن بينهما كثيراً ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾[2] وقال

(١) سورة الزمر آية (٧).

(٢) سورة سبأ آية (١٣)

﴿ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[1]

وقـــال عزّ وجلّ ﴿ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[2] ، فأخبر سبحانه أن الذي يعبده هو من يشكره، ومن لم يشكره لم يكن من أهل عبادته[3] .

٤- الشكر صفة الأنبياء عليهم السلام ..

وقد بين الله تعالى أن الشكر من أجلّ العبادات التي اعتنى بها إمام الموحدين إبراهيم عليه السلام بعد توحيد الله تعالى ، وأثنى الله عليه

(١) سورة البقرة آية (١٧٢).

(٢) سورة العنكبوت آية (١٧).

(٣) أنظر كتاب عدة الصابرين ص٩٦.

بشكره فقال جل شأنه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ...﴾[1] فأخبر عنه سبحانه بأنه أمة: أي قدوة يؤتم به في الخير، وأنه قانت لله، والقانت: هو المطيع المقيم على طاعته، والحنيف هو المقبل على الله، والمعرض عما سواه، ثم ختم له بهذه الصفات بأنه شاكر لأنعمه، فجعل الشكر غاية خليله[2] .

وقال عز وجل مخبراً عن إبراهيم عليه السلام أنه قال:

---

(١) سورة النحل آية (١٢٠، ١٢١).

(٢) انظر كتاب عدة الصابرين ص٩٧.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[١]

وهكـــذا قـــال داود وســـليمان عليهما السلام:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] وقـال نبيـه سليمان عليه السلام لما أنعـم الله عليـه: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾[٣][٤].

---

(١) سورة إبراهيم، آية رقم (٣٩).

(٢) سورة النمل، آية رقم (١٥).

(٣) سورة النمل آية (٤٠).

(٤) انظر كتاب عدة الصابرين ص٩٦.

وأمر عبده موسى عليه السلام أن يتلقى ما آتاه من النبوة والرسالة والتكليم بالشكر، فقال: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[1][2].

ومن ذلك ما ذكره الله عز وجل عن نوح عليه السلام لما أغرق الله قومه وأنجاه ومن معه في الفلك من المؤمنين أمره الله بأن يحمده فقال ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3] فكان عليه السلام

---

(١) سورة الأعراف آية (١٤٤).

(٢) انظر كتاب عدة الصابرين ص٩٦.

(٣) سورة المؤمنون، آية رقم (٢٨).

شكوراً ، ولهذا فإن الناس يقولون له إذا أتوْه في أرض المحشر: (وسمّاك الله عبداً شكوراً) [١] إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [٢].

قال ابن القيم رحمه الله: "وفي تخصيص نوح عليه السلام ها هنا في الذكر وخطاب العباد بأنهم ذريته إشارة إلى الاقتداء به، فإنه أبوهم الثاني، فإن الله تعالى لم يجعل للخلق بعد الغرق نسلاً إلا من ذريته، كما قال تعالى:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء برقم (٣٠٩٢) ومسلم في كتاب الإيمان برقم (٢٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) سورة الإسراء آية (٣).

﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾[1] ، فأمر الذرية أن يتشبهوا بأبيهم في الشكر، فإنه كان عبداً شكوراً.

وكان سيد ولد آدم محمد ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقيل له: تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: (**أفلا أكون عبداً شكوراً**)[2] ولهذا خص النبي ﷺ محبيه بوصية حقها أن تُسطّر بماء

---

(۱) سورة الصافات آية (۷۷).

(۲) رواه البخاري في كتاب الجمعة برقم (۱۰٦۲) ، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار برقم (٥٠٤٤) من حديث المغيرة بن شعبة ﷺ .

الذهب، كما في حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ أوصاه بقوله: (والله يا معاذ إني لأحبك فلا تدعنَّ دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)(١) وثبت عنه ﷺ أنه كان يدعو فيقول: (اللهم اجعلني شكّاراً لك ذكّاراً لك)(٢).

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة برقم (١٣٠١) والنسائي في كتاب السهو برقم (١٢٨٦) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٢) رواه الترمذي في كتاب الدعوات برقم (٣٤٧٤) وقال : حديث حسن صحيح ، ورواه أبو داود في كتاب الصلاة برقم (١٢٩١) كلهم من حديث العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه.

ولهذا قال بعض أهل العلم : الشاكرون على نوعين :

١- **شكر العامة** : ويكون على المطعم والملبس والمشرب وقوة الأبدان.

٢- **شكر الخاصة** : ويكون على التوحيد والإيمان وقوة القلوب.[1].

٥- الشكر وصفة أهل الجنة..

المتأمل لأهل الجنة، وما حباهم الله ﷻ من النعيم يجد أنهم يحمدون الله تعالى في مواضع مختلفة:

---

(١) مدارج السالكين ٢ / ٦١٢ .

منها: إذا نزل الله تبارك وتعالى للفصل بين العباد، وقال: ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾[1] فحينئذ يساق أهل العذاب إلى النار، فإذا نجا المؤمنون تجاوزوا الصراط، فيقولون بعد أن يروا مصرع الناس في الصراط وتساقطهم منه ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

ومنها: إذا اغتسلوا من نهر الحياة وطُهّروا من أدران الدنيا، ونظروا إلى الجنة عين اليقين تتلألأ بنعيمها، قالوا حينها:

---

(١) سورة يس آية (٥٩).

(٢) سورة المؤمنون آية (٢٨).

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[1] .

ومنها: إذا دخلوا الجنة، ورأوا فيها ما أعده الله لعباده الصالحين، وذاقوا حلاوته، قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾[2] .

ومنها: أنهم إذا استقروا في منازلهم العامرة بالنعيم، والحور العين، ودخلوا ديارهم التي تجري من تحتها الأنهار، قالوا : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ

---

(١) سورة الأعراف آية (٤٣).

(٢) سورة الزمر آية (٧٤).

ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ ...﴾[1][2] نسأل الله من فضله.

فالواجب على من كان مؤمناً أن يحمد الله تعالى على هذا، ويعرف نعمته عليه، وأن الله تعالى قد اختاره من جملة الخلق، وجعله من صنف المؤمنين.

٦- الشكر سر دوام النعم وزيادتها ..

لأن النعم من الله تعالى ، وَوَهَبَهَا لخلقه

---

(١) سورة فاطر آية (٣٤).

(٢) انظر تنبيه الغافلين للسمرقندي ص ١٣٢.

اختباراً وامتحاناً لهم ، فمن جحدها سُلبت منه، وربما بقيت معه استدراجاً له ، ثم تذهب كأن لم تكن بغمسة واحدة في النار -أجارنا الله منها- وأما من عرف حقها وشكرها ، فإن الله تعالى يحفظها له، ويديمها عليه ، ويزيدها وينميها له ، فالشكر معه المزيد أبداً. لقوله ﷻ ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[1] أي: (لئن شكرتم إنعامي لأزيدنكم من فضلي)[2] .

---

(١) سورة إبراهيم، آية رقم (٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/٣٤٣.

فجعل الله الشكر علامة للزيادة، والعكس، وهذا وعد من الله ﷻ صادق، ولا بد أن يتحقق، وفي حديث قدسي أن الله ﷿ يقول: (**أهل ذكري أهل مجالستي، وأهل شكري أهل زيادتي**)، فالله تعالى لا يرزق عبداً الشكر إلا ورزقه معه الزيادة مع حفظها ودوامها (ولهذا كانوا يسمون الشكر بـ"الحافظ"، لأنه يحفظ النعم الموجودة، و"الجالب"، لأنه يجلب النعم المفقودة، وأُثر عن علي رضي الله عنه أنه قال: "النعمة موصولة بالشكر، والشكر يتعلق بالمزيد، ولن ينقطع المزيد من الله

حتى ينقطع الشكر من العبد" وكان عمر ابن عبدالعزيز رحمه الله يقول: " .... نِعَمُ الله بشكر الله "[١].

وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين لسفيان الثوري رحمه الله إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها ودوامها، فأكثر من الحمد والشكر عليها، فإن الله قال في كتابه : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٢] وقال المغيرة بن شعبة رضي الله عنه : "اشكر من أنعم عليك، وأنعم على من شكرك، فإنه لا بقاء للنعم إذا كُفرت، ولا

---

(١) انظر كتاب عدة الصابرين ص٩٨.

(٢) الدر المنثور للسيوطي ٨/٥.

زوال لها إذا شُكرت". وكان الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: "ابن آدم متى تنفك من شكر النعمة وأنت مرتهن بها، كلما شكرت نعمة تجدد لك بالشكر أعظم منها عليك، فأنت لا تنفك بالشكر من نعمة، إلا إلى ما هو أعظم منها"، وقيل: "إذا قصّرتْ يداك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر"[١].

وقال سليمان التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الله عَزَّ وَجَلَّ أنعم على عباده بقدر طاعتهم وكلفهم من الشكر بقدر طاقتهم، وكل شكر وإن قلّ ثمن

(١) انظر مدارج السالكين ٢ / ٢١٦.

لكل نوال وإن جلّ.

إن صلاح الحياة يتحقق بالشكر، ونفوس الناس تزكو بالاتجاه إلى الله، وتستقيم بشكر الخير، وتطمئن إلى الاتصال بالمنعِم، فالمنعمُ موجود والنعمة بشكره تزكو وتزيد[١].

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (اشكر المنعم عليك، فإنه لا نفاد للنعم إذا شُكرت، ولا بقاء لها إذا كُفرت، والشكر زيادة في النعم، وأمان من الغِيَر)[٢].

---

(١) في ظلال القرآن ٤/٢٠٨٩.

(٢) انظر الدر المنثور ١/٣٧٤.

فمتى لم تر حالك في مزيد، فاستقبل الشكر[١] لترى الزيادة من كريم، وهو الله عز وجل وحسبك به، وتلك عاجل بشرى المؤمن، وفي الآخرة (**ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**)[٢] وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

---

(١) مدارج السالكين ٢ / ٢١٦

(٢) جزء من حديث رواه البخاري في كتاب بدء الخلق برقم (٣٠٠٥) ومسلم في صفة الجنة ونعيمها وأهلها برقم (٥٠٥٠) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رسول الله ﷺ: " قَالَ اللَّهُ : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ " ثم قال ﷺ : فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جزاءً بما كانوا يعملون﴾، سورة السجدة آية رقم (١٧).

جزاء الشاكرين

جزاء الشاكرين مطلق لا حدّ له، ولا حصر، ومما يؤكد ذلك أن الله تعالى وقف كثيراً من أنواع الجزاء على المشيئة كقوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ﴾[1]، وبيّن أنه يجيب لمن شاء ممن دعاه، فقال: ﴿ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ ﴾[2].

وهكذا الرزق، فإنه معلق بالمشيئة، لقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ﴾[3].

---

(١) سورة التوبة، آية رقم (٢٨).

(٢) سورة الأنعام، آية (٤١).

(٣) سورة البقرة، آية (٢١٢).

ومثل ذلك المغفرة، فإنه تعالى قال: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾[١].

وكذا التوبة إذ يقول جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾[٢].

وأطلق جزاء الشكر إطلاقاً لا قيد معه حيث ذكر، كقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[٣]، ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[٤].

فعلّق سُبْحَانَهُ المزيد بالشكر، والمزيد منه لا نهاية له

---

(١) سورة آل عمران، آية (١٢٩).

(٢) سورة التوبة، آية (١٥).

(٣) سورة آل عمران (١٤٤).

(٤) سورة آل عمران (١٤٥).

كما لا نهاية لشكره، ولهذا لما عرف عدو الله إبليس قدر مقام الشكر، وأنه من أجلّ المقامات وأعلاها، جعل غايته أن يسعى في قطع الناس عنه فقال: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾[1][2].

فالشكر من أكثر الطاعات ثواباً، وهو من أعلى المنازل، ولذلك جُعل للمؤمن بالله الشاكر الصابر الخير كله في سرائه وضرائه وذلك مصداقاً لقول النبي ﷺ حيث قال:

---

(١) سورة الأعراف، آية (١٧).

(٢) انظر كتاب عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص٩٥-٩٦.

"عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خــير لـه، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له"(١).

لو كنت أعلم فوق الشكر منزلة
أعلى من الشكر عند الله في الثمن
إذا منحتُكها مني مهذبة
حذواً على حذوِ ما أوليت من حسن



(١) رواه مسلم وأحمد.

وهل نحصي النعم؟

مما هو معلوم بالضرورة أن النعم لا يمكن حصرها بحال بصريح قوله ﷻ: في موضعين من كتابه: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

فإذا أردنا أن نحصي النعم التي أنعمها علينا بارينا؛ لنقوم بشكرها ونكافئ صاحبها

(١) سورة إبراهيم، آية رقم (٣٤).

(٢) سورة النحل، آية رقم (١٨).

جل شأنه، فإننا نطلب المحال، وقد قطع الله علينا طريق المشقة وتضييع الأعمار في العد والإحصاء في آيتي إبراهيم والنحل ، وتأمل ختامهما :

فالآية الأولى : تصف طبيعة المنعَم عليه وهي الظلم والكفران.

والآية الثانية : تبين صفة المنعِم المتفضّل ، الذي يغفر ويرحم أقواماً، ونعمه عليهم لا تعد ولا تحصى، ولذلك أعقبها بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي يعلم تقصيركم حتى ولو اجتهدتم، ويعلم نسيانكم وغفلتكم،

ولذلك يغفر لكم ويعفو عنكم إن علم فيكم خيراً وإقبالاً وشكراً.

إن نعم الله على العبد لا تحصى ولا تدرك، فمهما أردنا تعداد النعم ما استطعنا، لذا وجب علينا شكره على ما أعطانا وأمدنا، وعلى ما حجبه عنا رحمة بنا.

قال أبو عبدالله القرطبي رحمه الله: " **لا تحصوها** " : أي لا تطيقون عدها ، ولا تقومون بحصرها لكثرتها ، كالسمع والبصر ، وتقويم الصور إلى غير ذلك من العافية والرزق ، نعم لا تحصى ، وهذه النعم من الله ، فلمَ تبدّلون نعمة

الله بالكفر ؟ وهلاّ استعنتم بها على الطاعة؟ ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[١][٢].

والسبب في عدم إحصائها يشمل الكم والكيف ولهذا قال سليمان التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إن الله سبحانه أنعم على عباده على قدره ، وكلفهم الشكر على قدرهم.

وقال داود عليه السلام : يارب ، أرني أخفى نعمك عليّ، قال: يا داود تنفّس، فتنفس داود، فقال الله تعالى: من يحصي هذه النعمة الليل والنهار؟.

---

(١) سورة إبراهيم آية (٣٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ٩ / ٣٧٩ .

وإذا تقرر - مما سبق - أن استقصاء النعم محال ، فما بقي إلا أن نقف مع أنفسنا حياء من الله، واعترافاً بجميل فضله وعظيم آلائه ، ثم نشمّر عن ساعد الجد مستعينين بالله، متوكلين عليه ، طالبين منه المعونة والتوفيق في القيام بشكر نعمه وآلائه ﷻ فننظر إلى النعم جملة ، وإن كان الإجمال أيضاً فوق الطاقة إدراكه:

فلا التفصيلَ ولا الإجمالَ نُدركُهُ

إلا التكرم منك يا ذا الفضلِ والنعمِ

كيف نشكر الله تعالى على نعمه؟

شكر الله عز وجل على نعمه -من جهة الآلة- من ثلاثة أوجه :

١- الشكر بالقلب ..

ويكون بمحبة المنعم عز وجل والانقياد له بالطاعة ، إقراراً وعرفاناً بنعمه؛ لأن الشكر مبني على خمس قواعد : خضوع الشاكر للمشكور له، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وألا يستعملها فيما يكره[1] .

(١) مدارج السالكين ٢ / ٦١١ .

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: (أربع من أعطيهن فقد أعطي خيري الدنيا والآخرة) - وذكر منها - : (وقلب شاكر)[١] .

٢-الشكر باللسان ..

ويكون بالاعتراف بنعمة الله ، واللهج بذكره وحمده ، والتحدث بهذه النعم ، لقوله عز وجل : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[٢] وكما في حديث جابر رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي برقم (٣٠١٩) وقال : حديث حسن ، وقد روي عن غير واحد من أصحاب النبي ﷺ منهم أنس وجابر وحمران رضي الله عنهم أجمعين .

(٢) سورة الضحى آية (١١).

"مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ ، فَإِنَّ مَنْ أَثْنَى فَقَدْ شَكَرَ ، وَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ كَفَرَ ، وَمَنْ تَحَلَّى بِمَا لَمْ يُعْطَهُ كَانَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ"[1] وقد ذكر ﷺ في هذا الحديث أقسام الخلق الثلاثة : الشاكر للنعمة المثني بها عليه، والجاحد لها والكاتم لها، والمظهر

---

[1] رواه الترمذي في كتاب البر والصلة برقم (١٩٥٧) وأبوداود في كتاب الآداب برقم (٤١٧٩) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ ، وقَالَ أبو عِيسَى الترمذي : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ ، ثم قال : وَمَعْنَى قَوْلِهِ " وَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ كَفَرَ" أي : قَدْ كَفَرَ تِلْكَ النِّعْمَةَ.
وأما جملة (المتحلي بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور) فقد أخرجها البخاري في كتاب النكاح برقم (٤٨١٨) ومسلم في كتاب اللباس والزينة برقم (٣٩٧٣) وعندهما بلفظ (المتشبع ..) بدلاً من (المتحلي ..) .

أنه من أهلها، وليس من أهلها، فهو متحلٍ بما لم يُعط، وفي أثر مرفوع: (والتحدث بنعمة الله عز وجل شكر)[1][2].

فتلخّص مما سبق أن التحدث بالنعم نوع من أنواع الشكر ، ومندوب إليه ، ولكن في غير مخيلة ولا افتخار ولا تكبر؛ لأن الكبر يحبط العمل عياذاً بالله .

---

(١) جزء من حديث انفرد به أحمد برقم (١٨٥٤٤) عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم على هَذَا الْمِنْبَرِ : " مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالتَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ شُكْرٌ ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ ، وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ)

(٢) مدارج السالكين ٢ / ٦١٥

٣- الشكر بالجوارح ..

كعمل اليدين والرجلين والسمع والبصر، فشكر نعمة المال -مثلاً- يكون بالانفاق في سبيل الله؛ لأن الشكر ليس باللسان فقط، بل إذا استخدمت هذه الجوارح في طاعة الله ، كان ذلك شكراً لله تعالى ، وقد وصف الله عز وجل العمل بأنه شكر فقال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾[1] ،

والشكّار لربه هو المعترف بنعمه، راضٍ

---

(١) سورة سبأ آية (١٣).

عن الله وراضٍ عنه الله، وفي هذا المعنى قال بعض السلف: (تمام الشكر بثلاثة أشياء:

- **أولها:** إذا أعطاك الله شيئاً، فلتنظر من الذي أعطاك، فتحمده عليه.
- **والثاني:** أن ترضى بما أعطاك.
- **الثالث:** ما دامت منفعة ذلك الشيء معك، وقوته في جسدك فلا تعصه) أ.هـ.

وإذا نظرنا إلى هذه النعم، وجدنا أن التقصير فيها كثير، فما أكثر الذين يَنْعُمون بنعم الله، وهم غافلون عن أوامره، وما أكثر الذين ينعمون ويتمرغون في نعم الله، وهم واقعون في

معصيته.

والشكر بالجوارح على نوعين :

أ- وجودي : وهو استخدامها في طاعة الله عز وجل .

ب- عدمي : وهو عدم استخدامها في معصية الله.

فالسمع والبصر - مثلاً- من أعظم النعم، وشكرهما يتحقق باستخدامهما فيما يرضي الله ، فلا تنظر ولا تسمع إلى ما حرم الله ، فإن فعلت فقد اختل شكرك لله، وجاء

عن النبي ﷺ أنه قال : **"إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ"**[١] وفي هذا دليل على أن من أظهر النعمة في جوارحه ونشرها فقد شكرها ، ومن كتم النعمة فقد كفرها.

والخلاصة:

أن الشكر لا يكون شكراً حقاً إلا باجتماع هذه الأسس (اللسان، القلب، الجوارح) ومن تخلف عنه أحدها فقد نافى أصل الشكر، أو كماله الواجب، والناس يتفاوتون في

---

(١) انفرد به الترمذي برقم (٢٧٤٤) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن

الشكر بتفاوت امتثالهم في هذه المراتب، ولذلك قيل: إن الشكر على وجهين (عام وخاص):

١. **الشكر العام:** هو الحمد باللسان، وأن يعترف بأن النعمة من الله تعالى.

٢. **الشكر الخاص:** هو الحمد باللسان والمعرفة بالقلب، والخدمة بالأركان، وحفظ اللسان وسائر الجوارح عما لا يحل.



عوامل جلب الشكر

إن الحمد والشكر والثناء لله ﷻ له أسباب وعوامل تستجلبه، ومن ذلك ما يلي:

١- إرضَ بما كُتِبَ لك :

فإنك إذا كنت في قناعة تامة بما قسمه الله ﷻ لك من نصيبٍ في هذه الدنيا، وآمنت بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن ما أصابك من الله عز وجل فهو خير لك، فإنك ستعيش حياة هانئة مطمئنة، وهذه القناعة بأصول القدر ستهبك - بفضل الله- حمداً على ما وهبك الله وأنعم به

عليك. وقد قال ﷺ: **"من أصبح منكم آمناً في سربه،معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا"** [1].

٢- تأمل في نعم الله عليك:

فإن الله ﷻ أنعم عليك بالصحة والعافية، وأمدك بالستر ورزقك الذرية الصالحة، ووهبك الاستقرار، وتفضل عليك برضا الوالدين، وأسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة، وزودك بالبصر مع البصيرة.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الزهد برقم ٢٢٦٨ وابن ماجه في الزهد أيضاً برقم ٤١٣١ من حديث عبدالله بن محصن رضي الله عنه .

كما أسبغ عليك بالسمع والنطق والخِلْقَة الحسنة، وسلامة الأعضاء ومحبة الناس لك، وقبل هذا وذاك منَّ عليك بسلامة المعتقد، ولا شك أن تأمل هذه الفضائل له أثر -عند أصحاب العقول السليمة والفطرة المستقيمة- ولا يظهر الأثر إلا بالشكر والحمد.

٣- تأمل في أحوال الناس مع النعم:

فمنهم من هو أقل منك ديناً ورزقاً وصحة وعافية، وتأمل كيف أن الله فضلك عليه، وزادك خيراً كثيراً واصطفاك على كثير من خلقه، فإن ذلك سيورث عندك الشكر لله

ﷻ على ما جاد به وأنعم.

ومنهم من هو أكثر عبادة وشكراً لله عز وجل منك، بل ربما كان مع ذلك أكثر غنىً منك أيضاً، قد جمع الله له خيري الدنيا والآخرة، وقد قال ﷺ: (نعم المال الصالح للرجل الصالح)[1]، فتأمل فيما آتاه الله، وكيف أن الله فضّله عليك، ثم حاسب نفسك على تقصيرك، فإن ذلك سيكون مدعاة لك لتشكر ربك شكراً تدرك به من سبقك، وتسبق من فاتك.

---

(١) جزء من حديث طويل رواه أحمد في مسند الشاميين برقم (١٧٠٩٦) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

ومنهم من هو أكثر منك ثراءً أو رزقاً مع جحده لنعمة الشكر وتفريطه في جنب الله فلا تنظرن إلى مثل هذا ولاتقتد به، ولا يكونن ثراءه ورزقه ذاك مقياساً لك للغنى أو الفقر أو رضا الله عنه، فلربما كان ذلك استدراج يتبعه عذاب.

صحيح أنه غني في ماله ومعافى في جسده، بيد أنه فقير في نفسه، لا يشبع من الدنيا وإن حاز ملأها ذهباً؛ لأن نفسه فقيرة عن الإيمان وعن الشكر وحسن الصلة بالله.

خُلقوا وما خُلقوا لمكرمة

فكأنهم خُلقوا وما خُلقوا

رزقوا وما رزقوا سماح يدٍ

فكأنهم رزقوا وما رزقوا

والغنى الحقيقي هو غنى النفس، وإذا تأملت حاله من جانب آخر لوجدته تعيساً غير مستقرٍ في حالته الاجتماعية والنفسية، ويعاني من القلق وضيق الصدر والاضطراب القلبي والنفسي الشيء الكثير، ورحم الله القائل:

ولست أرى السعادة جمع مالٍ

ولكن التقي هو السعيد

وقولنا لا تنظر إلى من هو فوقك -من أمثال هذا- لا يعني عدم السعي للرزق، أو ترك ارتفاع الطموح وعلو الهمة لدى المسلم إلى الارتقاء بمستواه المعيشي كلا، فإنه كما قيل:

ومن هاب صعودَ الجبال يَعِشْ

أبد الدهر بين الحُفَر

وإنما المطلوب هو العدل من غير إجحاف أو مضرة، وأن لا يكلف نفسه أكثر من وسعها بالديون التي تثقل كاهله ؛ لمجرد حب المظاهر والاغترار والاعتزاز أمام الناس فإن ذلك ليس

من الحكمة في شيء[١].

٤- ازهد في الدنيا:

وتفكَّر دائماً في مصيرك الحتمي -الذي لابد لك منه- إلى الجنة أو النار، والإيمان بذلك إيماناً يقينياً لا شك معه، وتعويد النفس على انتظار ذلك الأجل المحتوم في أي لحظة، فإذا

---

(١) والمقياس الشرعي في هذا يكون على النحو الآتي:

أ- انظر إلى من هو فوقك في أمور الآخرة، لتقتدي به ورجاء أن تكون مثله أو أحسن منه.

ب- انظر إلى من هو دونك في أمور الدنيا لئلا ترى نفسك عليه مما قد ينتج عنه الكبر الذي يحبط العمل.

وثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليه**) رواه مسلم في الزهد والرقائق برقم (٥٢٦٤).

استشعرت ذلك فإنه سيولِّد في نفسك المنهج الوسط في هذه الحياة، حيث إن من كانت هذه حاله فإنه شاكرٌ لأنعم ربه، لا يتأثر بزخارف الدنيا وبهرجها ولا يغتر بها.

قيل للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أيكون مع الرجل ألف ألف دينار ويكون زاهداً؟ قال: نعم، فقالوا وكيف ذلك يرحمك الله؟ قال: إذا كانت في يده يصرِّفها كيف يشاء من غير هوى، أما إذا كانت في قلبه تُصرِّفه كيف شاءت.

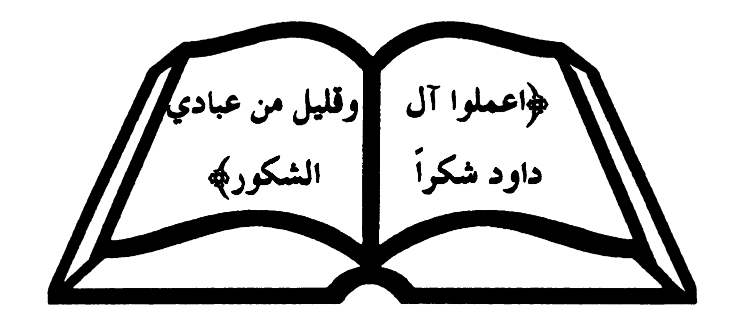
يارب

أوليتني نِعَمَاً أبوحُ بشكرها

وكفيتني كلَّ الأمور بأسرها

فلأشكُرنَّك ما حييتُ وإن أمُتْ

فلتَشْكرَنَّكَ أعظُمي في قبرها



أنواع الشكر

ينقسم الشكر باعتبار من يصدر عنه إلى نوعين :

١. شكر الله تعالى .

٢. شكر الخلق .

وإليك الحديث عن هذين النوعين ، بشيء من الإيجاز ، مع ضرب بعض الأمثلة التي توضح معناهما :

أولاً : شكر الله تعالى ..

وصف الله عز وجل نفسه بأنه شكور ، كما قال

تعالى ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾[(١)]

وقال عَزَّ وَجَلَّ عن نفسه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[(٢)] وقال ﴿ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[(٣)] وقال ﴿ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾[(٤)] .

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معنى ذلك أن لا أحد أشكر من الله جَلَّ جَلَالُهُ، ولا أجزأ بخير من الله عَزَّ وَجَلَّ[(٥)] .

---

(١) سورة النساء، آية رقم (١٤٧).

(٢) سورة الشورى آية (٢٣).

(٣) سورة فاطر آية (٣٠).

(٤) سورة التغابن آية (١٧)

(٥) الدر المنثور ٣٨٩/١.

فشكر الرب تعالى له شأن آخر كشأن صبره، فهو أولى بصفة الشكر من كل شكور، بل هو الشكور على الحقيقة، فإنه يعطي العبد ويوفقه لما يشكره عليه، ولما كان عز وجل هو الشكور على الحقيقة ، كان أحب خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر، كما أن أبغض خلقه إليه من عطلها واتصف بضدها، وهذا شأن أسمائه الحسنى، وكل ما يحبه فهو من آثار أسمائه وصفاته وموجبها، وكل ما يبغضه فهو مما يضادها وينافيها .

قال ابن القيم رحمه الله : (سمى الله نفسه

" شاكرا" و" شكوراً " وسمى الشاكرين بهذين الاسمين ، فأعطاهم من وصفه ، وسماهم باسمه ، وحسبك بهذا محبة للشاكرين وفضلاً)[١].

من أمثلة شكر الرب سبحانه :

شكر الله ﷻ شكراً لا نظير له ، قد شرّقت به الركبان وغرّبت، ومن أمثلة شكره ﷻ ما يلي :

١-أنه امتن على عباده بفرض الصيام ، وإنزال القرآن، ثم امتن عليهم ورحمهم بالتخفيف

(١) تهذيب مدارج السالكين ٢ / ٦١٠

عنهم في شأن المشقة ، ثم قال لهم ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾[١] .

٢-أنه تعالى يشكر القليل من العمل والعطاء، فلا يستقله أن يشكره، ويشكر الحسنة بعشر أمثالها ، إلى أضعاف مضاعفة لا نسبة لإحسان العبد إليها، والله سبحانه هو الذي أعطى العبد ما يحسن به إلى نفسه، فهو المحسن بإعطاء الإحسان وإعطاء الشكر، فلا أحد أحق منه سبحانه !! .

---

(١) سورة البقرة آية (١٥٨).

ومثال هذا ما ذكره النبي ﷺ بقوله : **(بينما رجل يمشي فاشتد عليه العطش، فنزل بئراً فشرب منها ثم خرج، فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خُفّه، ثم أمسكه بفيه، ثم رقى فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له)**[١] وفي بعض الروايات أن الذي سقى كانت بغيّاً من بغايا بني إسرائيل، فشكر الله لها فغفر لها، فأي شكر هذا ! أعظِم به من شكر، إذا كانت عاقبته المغفرة والرضوان.

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

٣- أنه ﷻ غفر لرجل قام بتنحية غصن شوك عن طريق المسلمين ، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ قَـالَ : " بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ» [1]

٤- أنه ﷻ يخرج العبد من النار بأدنى مثقال ذرة من خير، ولا يضيع عليه هذا القدر، لحديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عن النبي ﷺ أن الله تعالى يقول له يوم القيامة: " انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ

---

(١) رواه البخاري في كتاب الصلاة برقم (٦١٥) ومسلم في كتاب الصلاة برقم (٦٦١)

مـن النـار مَـنْ كَـانَ فِـي قَلْبـهِ مِثْقَـالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ " فيفعل ، ثم يقول له: "انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَـنْ كَـانَ فِـي قَلْبـهِ أَدْنَـى أَدْنَـى أَدْنَـى مِثْقَالِ حَبَّـةِ خَـرْدَلٍ مِـنْ إِيمَـانٍ ﴾ فيفعـل ، ثـم يقول ﷺ لربه في الثالثة : " ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لا إِلَـهَ إِلا اللَّـهُ " فَيَقُـولُ " وَعِزَّتِـي وَجَلالِـي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لأخْرِجَنَّ مِنْهَا مَـنْ قَـالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ " [١]

---

(١) هذا جزء يسير مـن حديـث طويـل أخرجـه البخـاري في صحيحـه في كتاب التوحيد برقم (٦٩٥٦) ومسلم في كتاب الإيمان برقم (٢٨٤)

٥- أنه ﷻ يجازي عبده بما يفعله من الخير والمعروف في الدنيا، ويخفف به عنه يوم القيامة ، فلا يضيع عليه ما يعمله من الإحسان ، وهو من أبغض خلقه إليه.(١).

٦-ومن شكره ﷮ أن العبد من عباده يقوم له

---

(١) كما حدث لأبي طالب عم النبي ﷺ حيث كان يحوط النبي ﷺ ويرعاه ويدافع عنه بنفسه وماله وعشيرته ، إلا أنه مات على ملة عبدالمطلب خشية أن تعيره قريش ، ومع ذلك فإن الله تعالى لا يظلم أحداً فلم يساو بينه وبين من كاد للإسلام وأهله بل خفف عنه العذاب في النار مع خلوده فيها وهذا من عدله وشكره لعبده على ما بذل من خير ، كما في حديث الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنَّهُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ ؟ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ . قَالَ : ﴿ نَعَمْ هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ وَلَوْلا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ رواه البخاري في كتاب المناقب برقم (٣٥٩٤) ومسلم في كتاب الإيمان برقم (٣٠٨)

مقاماً يرضيه بين الناس، فيشكره له وينوّه بذكره ويخبر به ملائكته وعباده المؤمنين، كما شكر لمؤمن آل فرعون ذلك المقام وأثنى به عليه ونوّه بذكره بين عباده [(١)] .

أنه لما احتمل يوسف الصديق ضيق السجن شكر له ذلك بأن مكّن له في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء، قال تعالى :﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [(٢)]

---

(١) انظر سورة غافر من الآية رقم ٢٨ إلى الآية رقم ٤٥ عند قوله تعالى : (فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب)

(٢) سورة يوسف آية رقم (٥٦)

فبدل يوسف عليه السلام ، من العسر يسراً ومن الضيق فرجاً ، ومن الخوف أمناً ، ومن القيد حرية ، ومن الهوان على الناس عزاً ومقاماً عليّاً .. هذا في الدنيا ، ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[١] وهكذا شكر الله ليوسف صبره وإيمانه وصنيعه ، فعوضه عن المحنة تلك المكانة في الأرض ، وهذه البشرى في الآخرة وفاقاً على الإيمان والصبر والإحسان[٢] .

٧-ومن شكره عز وجل لعبده : أن العبدَ إذا بذل

---

(١) سورة يوسف آية رقم (٥٧)

(٢) انظر في ظلال القرآن لسيد قطب رحمه الله ٤ / ٢٠١٤

له شيئاً رده عليه أضعافاً مضاعفة ، وهو الذي وفقه للترك والبذل، وشكره على هذا وذاك ، ولذلك لما بذل الشهداء أبدانهم له ، حتى مزقها أعداؤه ، شكر لهم ذلك بأن أعاضهم منها طيراً خضراً ، وأقر أرواحهم فيها ، تَرِدُ أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها إلى يوم البعث ، فيردّها عليهم أكمل ما تكون وأجمله وأبهاه.(١)

ولذلك روى الحسن عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ

(١) كما حدث لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه حين استشهد في غزوة مؤته بعد أن أبلى في ذات الله بلاء حسناً حتى قطعت يداه ، فكان من شكر الله تعالى له أن أبدله بجناحين يرتع بهما في رياض الجنة فشهد له بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، وكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما إِذَا حَيَّا ابْنَ جَعْفَرٍ قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ ذِي الْجَنَاحَيْنِ ، انظر صحيح البخاري كتاب المغازي (٣٩٣١)

رَسُولُ ﷺ : " مَا أَنْعَمَ اللَّـهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ إِلا كَانَ الَّذِي أَعْطَاهُ أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ"(١) .

ولهذا لما عقر نبيُّه سليمان عليه السلام الخيل غضباً له إذ شغلته عن ذكره فأراد ألا تشغله مرة أخرى، أعاضه عنها متن الريح.

٨-ومن شكره عز وجل لعبده أنه يثني عليه بين ملائكته وفي ملئه الأعلى، ويلقي له الشكر بين عباده، ويشكره على فعله ، ولذلك لما بذل رسله عليهم السلام أعراضهم فيه لأعدائهم ، فنالوا

---

(١) انفرد به ابن ماجه برقم (٣٧٩٥) .

منهم وسبّوهم ، أعاضهم عن ذلك بأن صلى عليهم هو وملائكته، وجعل لهم أطيب الثناء في السموات وبين خلقه، فأخلصهم بخالصة ذكرى الدار.

٩- ومن شكره عز وجل أن العبد إذا ترك شيئاً ابتغاء وجه الله أعطاه أفضل منه، ومثله ما حدث للصحابة رضي الله عنهم حينما تركوا أموالهم وديارهم ، وخرجوا منها في مرضاته، أعاضهم عنها بأن ملكهم الدنيا وفتحها عليهم.

٢- شكر الخلق.

الشكر الذي يصدر من الخلق على نوعين:

شكر الخلق لله ﷻ :

وهو واجب من الواجبات التي أمر الله بها عباده ، وقد أمرنا الله تعالى بذكره وشكره، كما في قوله تعالى :
﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾[1]
وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن

---

(1) سورة البقرة آية (١٥٢).

طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ ﴾[1] وقال : ﴿ وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾[2] وقال : ﴿ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾[3] وشواهد ذلك كثيرة في كتاب الله عز وجل ، ولا يجوز للعبد أن يقصر في شكر مولاه ، لأننا لا نستطيع أن نرد نعم الله بنعم من عندنا ، أنّى لنا ذلك ونحن الفقراء المحتاجون، فكان لزاماً علينا أن نقابل نعم الله التي لا تحصى بالشكر وفي ذلك رحمة من الله

---

(1) سورة البقرة آية (١٧٢).

(2) سورة النحل آية (١١٤).

(3) سورة سبأ آية (١٥).

بنا؛ لأنه لو كلفنا بقدر نعمه شكراً لما استطعنا.

وأعظم الخلق شكراً لله ﷻ هو أعرفهم به، وهو سيد ولد آدم، محمد ﷺ، وجاء عن أبي بكرة ﷺ: "أن النبي ﷺ **كان إذا جاءه أمر يسره خرَّ ساجداً لله ﷻ شكراً له**".

شكر الخلق للخلق:

ويكون على أي منفعة قام العباد بإسدائها، وهو من لوازم شكر الله تعالى، وقد ثبت من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ لا

يَشْكُرُ النَّاسَ لا يَشْكُرُ اللَّهَ "[1] وهذا ظاهر وبيّن فإن من يرى نفسه على إخوانه ، ولا يقوم بشكرهم على ما يولونه من معروف فإنه – غالباً – من أبعد الناس عن شكره لمولاه .

قال الخطّابي رحمه الله في معنى " **مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ لا يَشْكُرُ اللَّهَ**": (هذا الكلام يتأول على معنيين :

أحدهما : أن من كان من طبعه كفران

---

(١) الحديث رواه الترمذي في سننه / كتاب البر والصلة برقم (١٨٧٧) وقال حديث حسن صحيح ، ورواه أبو داود في كتاب الآداب برقم (٤١٧٧)، وللحديث ألفاظ متقاربة منها : "إن أشكر الناس لله تعالى أشكرهم للناس"، ومنها: "لا يشكر ا لله من لا يشكر الناس" وانظر الآداب الشرعية لابن مفلح (١/٣١٣).

نعمة الناس وترك الشكر لمعروفهم ، كان من عادته كفران نعمة الله عز وجل وترك الشكر له .

الثاني : أن الله سبحانه لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس إليه ، ويكفر معروفهم؛ لاتصال أحد الأمرين بالآخر)[1] .

وشكر المخلوق نظيره على ما أسداه من خير يكون بمكافأته، أو بذكره بالثناء الحسن بين الناس، أو الدعاء له، وفي حديث عائشة رضي الله عنها

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٣٩٨، ونقل ابن مفلح رحمه الله في الآداب الشرعية ١/٣١٤ نحواً مما ذكره الخطابي، ثم قال: "وهذه الأقوال مبنية على رفع اسم الله عز وجل ونصبه في الرواية التي بلفظ: (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)".

أن النبي ﷺ قال: "من أوتي إليه معروف فليكافئ به، فإن لم يستطع فليذكره، فمن ذكره فقد شكره، فإن لم يستطع فليدع له"، وعن أسامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **"من صُنع إليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيراً، فقد أبلغ في الثناء".**

هكذا يكون الإحسان إلى الخلق فيما أحسنوا[1]، أما ترك ذلك فإنه من الجفاء، ونص الإمام أحمد رحمه الله على أنه كبيرة[2] لأن النبي ﷺ

---

(١) ولو كان المحسن كافراً، وقد نقل ابن مفلح في الآداب الشرعية ص١/٣١٥ أن رجلاً قال لسعيد بن جبير رضي الله عنه: المجوسي يوليني خيراً، أفأشكره؟ قال: نعم.

(٢) انظر الآداب الشرعية لابن مفلح ١/٣١٤.

قد توعد على كفران العشير والإحسان بالنار، كما في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: "**يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار**" فقالت امرأة منهن: ومالنا أكثر أهل النار؟ قال: "**تكثرن اللعن وتكفرن العشير**"، والعشير في الأصل هو المعاشر، والمراد به هنا الزوج، ومعنى قوله (تكفرن العشير) أي تكفرن إحسان الزوج إليكن، كأن تقول: ما رأيت منه خيراً قط.

قال ابن القيم رحمه الله: فإذا كان هذا بترك شكر نعمة الزوج -وهي في الحقيقة من الله-

فكيف بمن ترك شكر نعمة الله؟!.

يا أيها الظالم في فعله

والظلم مردود على مَنْ ظَلَم

إلى متى أنت وحتى متى

تشكو المصيبات وتنسى النعم

وينبغي على المرء إذا قصد حاجة من الناس أن يجمل في الطلب، وأن يتخير أجمل الكلام وأطيبه، فإن قضى له ما أراد، حَمِدَ الله وأثنى على المعطي، ودعا له، وإن لم يحقق مراده، فليحمد الله، وليلتمس لأخيه العذر.

دخل محمد بن واسع -وهو فقيه ورع من

زهاد البصرة- على قتيبة بن مسلم، فقال له: إني أتيتك في حاجة رفعتها إلى الله قبلك، فإن تقضها حمدنا الله وشكرناك، وإن لم تقضها حمدنا الله وعذرناك، فأمر له بحاجته.

ودخل رجل على المنصور فقال له: إن سؤالك لزين، وإن عطاءك لشرف، وما على أحد بذل وجهه إليك نقص ولا شين، فقضى له المنصور حاجته. وقال آخر:

إنا سألنا قومنا فخيارهم

من كان أفضلهم أبوه الأول

أعطى الذي أعطى أبوه قبله

وتبخلت أبناء من يتبخل

وقال رجل لآخر: أيدينا ممدودة إليك بالرغبة، وأبصارنا شاخصة إليك بالشكر، فافعل في أمورنا حسب أملنا فيك.

وقال آخر: إني أتيتك في حاجة عظيمة؛ لأنك أمير كريم؛ ورجل عظيم.

والشكر للخلق لا يكون على المال فحسب، بل يتعدى إلى كل منفعة، كقضاء حاجة، وإجابة مسألة، أو شفاعة حسنة، أو دعاء في ظهر الغيب، وأنشد بعضهم:

وإن امرؤ أسدى إليك صنيعة

من جاهه فكأنها من ماله

الفرق بين شكر الله لعبده وشكر المخلوق لربه

ليس بين شكر الله لعباده وشكر العباد له إلا مادة الكلمة، وأما الكم والكيف فشيء آخر يليق به عز وجل وكرمه الواسع ، ورحمته البالغة التي وسعت كل شيء ، وهناك ثمة فروق بين شكر الله وشكر المخلوق ، يمكن بيانها في الآتي :

١. أن الله عز وجل يشكر العبد على إحسانه لنفسه، والمخلوق إنما يشكر من أحسن إليه.

٢. شكر الخالق عز وجل موصوف بالكمال

المطلق الـذي لا يتطـرق إليـه النقـص بحـال، وأما شكر المخلوق فهـو نـاقص ، ونسبي ، ومعرض للزوال .

٣. شـكر المخلـوق لا يكـون - غالبـاً - إلا مقابل نعمة أو منفعـة مسـداة ، وأمـا شـكر الخالق ﷻ فلا يلزم أن يكـون مقـابل طاعـة ظهرت مـن العبـد بـل قـد يتخلـف ذلـك ، فيكون الشكر من الله ﷻ هبة منه على عبده وهذا من كمال حكمته وعدله سبحانه .

٤. المخلـوق ينتفـع بشـكر الشـاكر لـه، فأمـا شـكر العبـد لخالقـه فإنـه لا تعـود

على الله عائدته، ولذلك قال ﷻ: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ وإنما يعود على العبد فهو المستفيد المحتاج في الدنيا نعماً وفي الآخرة ثوابها وجزاء شكرها. وهكذا الكفر فلا يرجع على الله أثره، فالله غني بذاته محمود بذاته، لا بحمد الناس وشكرهم على عطاياه، ولذلك قال ﷻ:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾[1] أي: إن تكفروا نعمته أنتم وجميع الخلق ولم تشكروها ﴿فإن الله﴾ سبحانه وتعالى

---

(١) سورة إبراهيم آية رقم (٨).

﴿لغني﴾ عن شكركم، لا يحتاج إليه، ولا يلحقه بذلك نقص ﴿حميد﴾ أي: مستوجب للحمد بذاته، لكثرة إنعامه، وإن لم تشكروه أو يحمده غيركم من الملائكة[١] .

وقال ابن القيم رحمه الله: (وإنعام الرب عز وجل على عبده إحسان إليه ، وتفضل عليه ، ومجرد امتنان ، لا لحاجة منه إليه ، ولا لمعاوضة، ولا لاستعانة به ، ولا ليتكثر به من قلة ، ولا ليتعزز به من ذلة ، ولا ليقوى به من ضعف، سبحانه وبحمده ، وأمره بالشكر أيضاً إنعام

---

(١) انظر فتح القدير ص ٩٦/٣.

آخر عليه ، وإحسان منه إليه ، إذ منفعة الشكر ترجع إلى العبد دنيا وأخرى ، لا إلى الله، والعبد هو الذي ينتفع بشكره ، كما قال تعالى: **(ومن شكر فإنما يشكر لنفسه)** ، فشكر العبد إحسان منه إلى نفسه دنيا وأخرى؛ لأنه إنما أحسن إلى نفسه بالشكر ، لا أنه مكافئ به لنعم الرب.

فلا يستطيع أحد أبداً أن يكافئ الله تعالى على نعمه ولا أقلها ، ولا أدنى نعمة من نعمه ، فإنه تعالى هو المنعم المتفضل، الخالق للشكر والشاكر، وما يُشكر عليه، فلا يستطيع أحد أن

يحصي ثناء عليه، فإنه هو المحسن إلى عبده بنعمه، وأحسن إليه بأن أوزعه شكرها ، فشكره نعمة من الله أنعم بها عليه ، تحتاج إلى شكر آخر، وهلم جرا .

ومن تمام نعمته سبحانه ، وعظيم بره وكرمه ، أنه ينعم عليك ثم يوزعك شكر النعمة ، ويرضى عنك ، ثم يعيد إليك منفعة شكرك ، ويجعلُهُ سبباً لتوالي نعمه ، واتصالها إليك ، والزيادة على ذلك منها)[١] .

---

(١) مدارج السالكين ٢ / ٦١٦ .

أقسام الناس في الشكر

بيّن القرآن الكريم وأوضحت السنة الشريفة أقسام الناس من جهة امتثالهم لهذه العبادة الجليلة (**الشكر**) ويمكن حصرهم في ثلاثة أقسام :

١- قسم يشكرون..

٢- قسم شكرهم قليل ..

٣- قسم لا يشكرون ..

أولاً : قسم الشاكرين :

وهم قلة - جعلنا الله منهم- وجاء

النص في بيان قلتهم في مواضع من القرآن الكريم كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾[(١)].

وهؤلاء القلة أعلى الناس مقاماً ، وهم الذين لهم الزيادة وحسن الجزاء، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[(٢)].

وقال سبحانه بعد ذكره لنجاة لوط ﷺ ﴿ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴾[(٣)]

وقال ﷻ : ﴿ وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[(٤)].

---

(١) سورة سبأ آية (١٣).

(٢) سورة إبراهيم آية (٧).

(٣) سورة القمر آية (٣٥).

(٤) سورة آل عمران آية (١٤٤).

وقال: ﴿ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[١] .

وهؤلاء أقل الخلق كما تقدم، " وقلة أهله في العالمين تدل على أنهم هم خواص أهله"[٢] وذكر الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رجلاً يقول: اللهم اجعلني من الأقلّين. فقال عمر: ما هذا؟! فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، إن الله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾[٣]

---

(١) سورة آل عمران آية (١٤٥).

(٢) مدارج السالكين ٢ / ٦١٠ .

(٣) سورة سبأ آية (١٣).

ثانياً: قسم المقلّين..

أي يشكرون الله تعالى ، ولكن هذا الشكر قليل ، ووجه قلته كونه في أوقات يسيرة، وفي فترات متباعدة ، وعلى بعض النعم لا كلها ، كما قال تعالى : ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ وذلك بعد تعداد النعم وبيان كثرتها ومنافعها، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾[1] .

---

(١) سورة الملك آية (٢٣).

ثالثاً : قسم لا يشكرون ..

وهذه صفة أكثر الخلق ، كما قال ﷻ في ثلاثة مواضع من كتابه : ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[1] وفي موضعين ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾[2]

وقال ﷻ في سورة الأعراف ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[3] .

وهذا الصنف من الناس هم أبغض الخلق إلى الله ﷻ، فإن الله تعالى قسم الناس إلى

---

(١) سورة البقرة آية (٢٤٣)، يوسف آية (١٣٨)، غافر آية (٦١).

(٢) سورة يونس آية (٦٠)، النمل آية (٧٣).

(٣) سورة الأعراف آية (١٧).

شكور وكفور، فأبغض الأشياء إليه الكفر وأهله، وأحب الأشياء إليه الشكر وأهله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[1] ، وقال ﷻ : ﴿وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[2] .

وهذا النكران من هؤلاء قد يكون لجهلهم بقدر النعمة ، أو منعمها ، أو لكفرهم وجحودهم - عياذاً بالله - كما قال تعالى : ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾[3] فبين أن

---

(١) سورة الدهر الآية ٣.

(٢) سورة البقرة آية (١٥٢).

(٣) سورة الإسراء آية (٨٩).

سبب إبائهم هو بسبب كفران النعم ، فالشكران ضد الكفران، وكثرة الكافرين تبين قلة الشاكرين .

وهذا التصوير الرباني لواقع الناس يشعر بالحسرة الشديدة على العباد المنكرين الجاحدين، وحقاً إن الإنسان لظلوم كفار، يلبس ثياب النعمة ، فتكسوه من شعره إلى أخمص قدميه صحة وعافية ومالاً وولداً وأمناً ، ثم لا يلوي على صاحبها ومسبغها بالشكر والعرفان .

عقوبة ترك الشكر

تقرر مما سبق أن الشكر للمنعم سبحانه واجب في حق كل أحد، ومن فرط في القيام بهذا الحق فإنه يعاقب بأمور كثيرة أهمها:

١- نقص الإيمان: لأن الشكر نصف الإيمان كما تقدم، وزوال الشكر أو نقصانه ينافي كمال الإيمان، ويترتب على ذلك أن يوصف تارك الشكر بالكفر لأن الكفر والشكر ضدان متقابلان، ولذلك لما أنعم الله على سليمان عليه السلام بنعم كثيرة قال: ﴿هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي

لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾[١] والمراد بالكفر هنا: كفر النعمة (الكفر العملي) وليس الكفر با لله الذي هو الجحود المنافي لأصل الإيمان.

٢- رفع النعمة ونزول العقوبة: وقد تكون العقوبة في الدنيا، أو في الآخرة كما يشاء ا لله، ولكنه واقع؛ لأن الكفر بنعمة ا لله لا يمضي بلا جزاء، وكم من بلاد كانت عامرة بالخيرات، فلما جحد أهلها النعم أزالها ا لله منهم. قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ

---

(١) سورة النمل آية (٤٠).

بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾[2] قرية آمنة مطمئنة منعّمة، سخّرت هذه النعمة في

---

(١) سورة النحل، آية رقم (١١٢).

(٢) سورة سبأ آية (١٥،١٦،١٧).

المعصية و لم تسخّرها في طاعة الله و لم تؤد شكرها و لم تقم بما يجب عليها من الشكر، بل فسقت عن أمر ربها، وكفرت بنعمته، فأبدل الله أمنها خوفاً، ورغد عيش أهلها جوعاً وعطشاً، وهو أحكم الحاكمين.

جاء عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: "إن الله إذا لم يُشكر قلب النعمة عذاباً"[١].

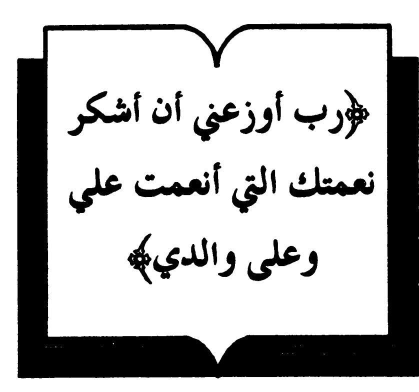
وهذه النعم الكثيرة التي تغمرنا -كالأمن والاستقرار ورغد العيش وغيرها- إذا لم نقم بشكرها بالقول واللسان والجوارح فإنها قد

---

(١) انظر الدر المنثور ١/٣٦٩.

ترفع عنا، وبالشكر تدوم النعم.

٣- بقاء النعمة مع زوال بركتها: أو سحق آثارها في الشعوب والأمم والأفراد والأسر، ونقصان البركة يكون بمقدار نقصان الشكر، والجزاء من جنس العمل.



من وسائل شكر الله على نعمه

الوسائل التي يمكن أن نشكر الله ﷻ من خلالها كثيرة جداً، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

١. أن نجدد الشكر لله ﷻ على النعمة، وعلى تمكينه لنا على شكرها ، ولذلك أُثر عن داود عليه السلام أنه قال : يارب كيف أشكرك؟ وشكري لك نعمة مجدّدة منك علي! فقال: **(الآن شكرتني ياداود)**[١].

(١) انظر تفسير القرطبي ، عند قوله تعالى من سورة إبراهيم : (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) آية (٣٤).

٢. أن نؤمن أن الله جل جلاله هو المنعم المتفضل، وأن نعلم أنه الذي يستحق أن يُعبد وأن يُشكر ويُحمد ، ولذلك جاء في أثر إسرائيلي: أن موسى عليه السلام قال: "يارب خلقت آدم بيدك، ونفخت فيه من روحك، وأسجدت له ملائكتك، وعلمته أسماء كل شيء، وفعلت وفعلت. فكيف أطاق شكرك؟ قال الله عز وجل : علم ذلك مني، فكانت معرفته بذلك شكراً لي"، وما من نعمة على الخلق من أهل السموات والأرض

إلا وبدايتها من الله سبحانه وتعالى[١].

٣. قول (الحمد لله)، وفي حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا"[٢].

وأخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي في شعب الإيمان عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن نوحاً عليه السلام لم يقم عن خلاء قط إلا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٣٩٨، تنبيه الغافلين للسمرقندي ص ٢٣٠.

(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

قال: الحمد لله الذي أذاقني لذته، وأبقى فيّ منفعته، وأخرج عني أذاه".

وجاء عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال: "كان نوح عليه السلام إذا لبس ثوباً أو طعم طعاماً أو أكل أو شرب قال (الحمد لله) فسُمي عبداً شكوراً"[1].

وروي عن بعض التابعين -رحمهم الله- أنه قال (**من تظاهرت عليه النعم فليكثر " الحمد لله** "؛ لأن " الشكر لا يكون إلا بالثناء على المحسن بذكر إحسانه)[2].

---

(١) الدر المنثور ٥/٢٣٦-٢٣٧.

(٢) مدارج السالكين ٢ / ٦١، تنبيه الغافلين للسمرقندي ص٢٣٠.

وقال عبد بن أبي نوح: قال لي رجل على بعض السواحل: كم عاملته تبارك اسمه بما يكره فعاملك بما تحب؟ قلت: ما أحصي ذلك كثرة، قال فهل قصدت إليه في أمر كربك فخذلك؟ قلت: لا والله. ولكنه أحسن إليّ وأعانني، قال: فهل سألته فلم يعطِكه؟ قلت: وهل منعني شيئاً سألته؟ ما سألته شيئاً قط إلا أعطاني ولا استعنت به إلا اعانني، قال: أرأيت لو أن بعض بني آدم فعل بك بعض هذه الخلال ما كان جزاؤه عندك؟ قلت: ما كنت أقدر له مكافأة ولا

جزاء، قال: "فربك أحق وأحرى أن تدأب نفسك له في أداء شكره وهو المحسن قديماً وحديثاً إليك، والله لشكره أيسر من مكافأة عباده.. فهلاّ قلت (الحمد لله) خالصاً من قلبك، فإنه ﷻ رضي من العباد بالحمد شكراً".

٤. **التسلح بالعلم الشرعي** المستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال صحابته وسلف الأمة الصالح، لأن الجهل يورّث الكفر، ويعمي عن النعم، وأما العلم، فينوّر البصائر، ويهدي إلى النعم.

٥- **الإحسان إلى الخلق**، لأن النعمة من الله عليك إحسان بك، وعليك أن تشكر الله على هذه النعم بالإحسان إلى الخلق، خاصة من هم دونك من الفقراء ونحوهم، ولذلك جاء في حكمة إدريس عليه السلام: لن يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمه، بمثل الإنعام على خلقه، ليكون صانعاً إلى الخلق، مثل ما صنع الخالق إليه، فإذا أردت دوام النعمة من الله تعالى عليك، فأدم مواساة الفقراء.

٦- **إظهار النعمة**، بأن يُرى على المنعَم عليه

أثـر النعمـة؛ لأن مـن كتـم النعمـة فقـد كفرهـا، ومـن أظهرهـا ونشـرها فقـد شكرها، وهذا مأخوذ من قوله ﷺ : (إن الله إذا أنعم على عبد بنعمة أَحب أن يرى أثر نعمته على عبده) [١] وفي هذا قيل [٢]:

ومن الرزيّة أنّ شكري صامت
عما فعلت وأنّ بِرّك ناطق
وأرى الصنيعة منك ثم أُسرّها
إني إذاً لندى الكريم لسارق

---

(١) الحديث صحيح ورواه ابن سعد ٤ / ٢٩١ عن عمران بن حصين رضي الله عنه ، وله شاهد عند الترمذي برقم ٢٨١٩ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) مدارج السالكين ٢ / ٦١٣

ولكن أنبّه هنا إلى أنه (ينبغي لمن تظاهرت نعم الله ﷻ عليه، أن يُظهر منها ما يبين أثرها، ولا يكشف جملتها فإن العين حق، وإظهار النعم حلو على النفس، إلا أنها إن أُظهرت لحاسد لم يُؤمَن تشعث باطنه بالغيظ، فإنه في حال البلاء يشقى، وفي حال النعم يصيب بالعين. وكتمان الأمور في كل حال فعل الحازم، فلا تكن من المذابيع الذين لا يحملون أسرارهم، حتى يفشوها إلى من لا يصلح، ورب كلمة

جرى إليها اللسان هلك بها الإنسان)[1] .

٧- التناصح في الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، وأن لا نحقر من ذلك شيئاً.

٨ - التعاون على البر والتقوى، لعموم قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[2] .

والصبر على الأذى في ذلك، قال تعالى:

---

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي ص١٧٨.

(٢) سورة المائدة، آية رقم (٢).

﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾[1].

٩- الإكثار من العمل الصالح، والبعد عمّا حرّم الله؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[2]، فإذا غيّروا ما بهم من الطاعات غيّر الله ما بهم من الإحسان والبركات والنعم.

---

(١) سورة العصر.

(٢) سورة الرعد، آية رقم (١١).

الغني الشاكر .. و .. الفقير الصابر

الصبر والشكر عبادتان عظيمتان، لا يستغني عنهما العبد أياً كان، ولأهل العلم فيهما أقوال[١] من حيث الأفضلية، ومن أروع ما قيل في ذلك، ما سطره الإمام العلم شمس الدين أبو عبدالله بن القيم رحمه الله إذ يقول:

"إن الصبر والشكر لا ينفك العبد عنهما، غنياً كان أم فقيراً، معافاً أم مبتلى، وهذه هي

---

(١) نقل أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله أن الأقوال في ذلك ثلاثة:
أحدها: أن الصبر أفضل.
والثاني: أن الشكر أفضل.
والثالث: أنهما سواء.

مسألة الغني الشاكر، والفقير الصابر، أيهما أفضل؟.. - ثم قال -: والتحقيق أن يقال: أفضلهما أتقاهما لله تعالى، فإن فُرض استواؤهما في التقوى، استويا في الفضل، فإن الله سبحانه لن يفضّل بالفقر والغنى، كما لم يفضّل بالعافية والبلاء، وإنما فضّل بالتقوى، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1] .

والتقوى مبنية من أصلين (الصبر والشكر) وكل من الغني والفقير لابد له منهما، فمن كان صبره وشكره أتم كان أفضل، ولا

---

(١) سورة الحجرات آية (١٣).

يصح التفضيل بغير هذا البتة، فإن الغني قد يكون أتقى لله في شكره من الفقير في صبره، وقد يكون الفقير أتقى لله في صبره من الغني في شكره، ولا يصح أن يقال: هذا بفقره أفضل، ولا يصح أن يقال: هذا بالشكر أفضل من هذا بالصبر، ولا بالعكس، لأنهما مطيتان للإيمان لابد منهما، بل الواجب أن يقال: أقومهما بالواجب والمندوب هو الأفضل، فإن التفضيل تابع لهذين الأمرين، كما قال ﷻ في الأثر الإلهي: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله تعالى قال: ... وما تقرب إليّ

عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه"[١] فأي الرجلين كان أقوم بالواجبات وأكثر نوافل كان أفضل.

فإن قيل: فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: "يدخل فقراء أمتي قبل أغنيائهم بنصف يوم، وذلك خمسمائة عام"، قيل: هذا لا يدل على فضلهم على الأغنياء في الدرجة، وعلو المنزلة، وإن سبقوهم بالدخول، فقد يتأخر الغني والسلطان العادل في الدخول لحسابه، فإذا دخل

---

(١) رواه البخاري.

كانت درجته أعلى، ومنزلته أرفع" أ.هـ[١] .

فتلخّص مما سبق أن الغنى والفقر مطيتان كل منهما أفضل بحسب ما يقترن بهما من إيمان وتقوى، ولذلك أُثر عن أمير المؤمنين عمر ﷺ قال: "لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما ركبت"[٢] .

فكل من الصبر والشكر داخل في حقيقة الآخر، لا يمكن وجوده إلا به، وإنما يعبر عن أحدهما باسمه الخاص به باعتبار الأغلب عليه، والأظهر منه.

---

(١) انظر كتاب عدة الصابرين ص ١٢٤-١٢٦.

(٢) انظر كتاب عدة الصابرين ص٩٠.

ثم لتسئلن يومئذٍ عن النعيم..

هذه آية من سورة التكاثر، وفيها بيان أن النعم لن تذهب عند محصيها ﷻ هدراً، فما من أحد أسبغ الله عليه بنعمة في دينه أو دنياه إلا والله سائله حفظ أم ضيّع، سُئل مكحول رحمه الله عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[1]، فقال: بارد الشراب، وظل المساكن، وشبع البطون، واعتدال الخلْق ولذة النوم"[2]، وقال مجاهد رحمه الله: عن كل لذة

(١) سورة التكاثر، آية رقم (٨).

(٢) تفسير ابن كثير سورة التكاثر.

من لذات الدنيا، وقال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ قال: النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار.

ولا يعني تفسير السلف -رحمهم الله- للنعيم بما ذكروه في تفسير الآية فحسب، ولكنه نعيم عام يشمل كل نعمة، وما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما وأشار إليه مكحول ومجاهد -رحمهما الله- جزء منه، وإنما أرادوا التنبيه على الأعلى بذكر الأدنى، وعلى الأكثر بذكر الأقل.

وحتى تعرف قدر النعمة التي أنت فيها، تعال وأمعن النظر في هذا الحديث الشريف ثم

قارن حالك بحال من ذُكروا فيه:

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﵁ قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر ﵄ فقال: **"ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة"** قالا: الجوع يارسول الله، قال: **"وأنا والذي نفسي بيده ما أخرجني إلا الذي أخرجكما، قوما"** فقاما معه، فأتى رجلاً من الأنصار فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحباً وأهلاً، فقال لها رسول الله ﷺ: **"أين فلان؟"** قالت: يستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه ثم قال: الحمد

لله، ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني، قال: فانطلق فجاءهم بعذق فيه بُسْر وتمر ورطب، فقال: كلوا من هذه، وأخذ المُدية، فقال له رسول الله ﷺ: "**إياك والحلوب**" فذبح لهم، فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما : "**والذي نفسي بيده لتُسألن عن نعيم هذا اليوم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم النعيم**"[(١)].

الله أكبر سيسألون عن هذه الوجبة التي

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

لا تحصل إلا نادراً حتى أخبرت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنه لا يوقد في بيت رسول الله ﷺ نار ثلاثة أشهر، وأنه ﷺ كان يربط على بطنه حجرين من الجوع.

فأي سؤال سنُسأله نحن المنغمسون في النعيم؟!

ألم تكن هذه البلاد أفقر البلدان حتى كان أجدادنا يأكلون القديد! ويسافرون إلى الدول المجاورة ويتغربون عن أهليهم السنين الطوال بحثاً عن لقمة العيش، وقد يذهب ضحية لقطّاع الطرق.

ثم يفيض الله بعد ذلك ما أفاض من توحيد أطرافها المترامية ومن تأليف بين قلوب سكانها بعد أن كانوا متنافرين، وما أغدق عليها من الخيرات، وأخرج لها من بركات الأرض حتى أصبحت مقصداً لكل طالب للرزق مستكثراً من المال...

مَنْ منا اليوم مَنْ يخرجه الجوع من بيته؟ بل مَنْ منا مَنْ يأته يوم لا يجد فيه اللحم على مائدته؟ لقد تكاثرت القطط وسمنت من العيش على بقايا الموائد التي أنتنت منها الشوارع، أفلا نكون عباداً شاكرين!. نسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباده الشاكرين الذاكرين.

أنواع النعم

الحديث عن النعم يطول؛ وذلك لكثرتها، واستحالة حصرها، ولكن يمكن تقسيمها من حيث العموم والشمول إلى ثلاثة أقسام:

١- نعم عامة تشمل جميع الخلق.

٢- نعم شبه عامة وتشمل بعض الخلق.

٣- نعم خاصة بالنفس.

أولاً: نعم عامة تشمل جميع الخلق.

إن النعم التي يعم نفعها جميع أهل الأرض، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم،

إنسهم وجنهم، وحتى الكائنات كثيرة ومتعددة:

منها: ما ذكره الله عز وجل في سورة نوح عليه السلام بقوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾.

ومنها: قوله سبحانه في سورة النبأ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا

شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ ﴾

ومنها: ما جاء في بيان نعمة تناسق وانتظام الليل والنهار، إذ يقول ﷻ: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[1].

فلو دامت الظلمة لانطمس نور العيون، وضاقت الصدور، وحُرم الناس من نعمة

---

(١) سورة القصص، آية رقم (٧١).

الضياء، ونعمة تمييز الألوان، والتمتع بنعمة البصر، وهكذا العكس: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾(١).

ولو دام الضياء والصخب لما هدأت الدنيا وسكن الناس، بل لأصابهم الجنون، وتوترت أعصابهم، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، ولكنه فضل الله الواسع، ورحمته الكبيرة التي تستحق أن نشكر الله ﷻ عليها، وهو القائل:

---

(١) سورة القصص، آية رقم (٧٢).

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾[1].

ومنها: الشمس وقربها من الأرض بمقدار، ولو اقتربت أكثر من ذلك لأحرقت الزرع، ولتبخر ماء البحار، وهلك الخلق، ولو ابتعدت أكثر من ذلك لمسّ الناس برد وقرّ يجمد اللبن في الضرع والدماء في العروق، ويحرق الزرع من شدة برده وسمومه، فسبحان الكريم المنان الحكيم الرحيم الرحمن.

---

(١) سورة القصص، آية رقم (٧٣).

ومنها: وَضْع الجبال، وحفظها لتوازن الأرض أن تميد بأهلها.

ومنها: القمر وضياؤه وما يحدثه من المد والجزر في البحار والمحيطات، فتتحرك مياه المحيطات كأن بها أنهاراً من داخلها لحكمة يعلمها الله.

ومنها: تبخر مياه البحار والمحيطات، وجريان السحاب بأمر الله، ثم نزول الماء حيث يقدر الله فتحيا الأرض بعد موتها، ويفيض ما تبقى من الماء فيشق الله له طريقاً في

صخرها يفيض بالماء العذب الزلال يسقي الشاربين وينقل الماء من طرف البلاد إلى أقصاها.

ومنها: أنواع الزروع والثمار مما يأكل الناس والأنعام زرع في الصيف وآخر في الشتاء، وبين الزرعين زروع تلائم الجو والأرض والماء.

ومنها: الشجر والجبال وما ميزه الله به، وشجر الصحراء وما حلّاه الله به، وعشب البراري وما خصّه الله.

ومنها: البحر وكنوزه، يخرج منه اللحم الطري الشهي، ويخرج منه الصدف الثمينة واللؤلؤ والمرجان، ويخرج منه كائنات يستنبط منها علاج للمرضى، ولملحه في الأبدان شفاء، وانظر إلى أمواجه وهي تعلو وتهبط كأنها تسبّح الله باريها، تلفُظُ كل مالا يحتاج الناس إليه من الملوثات وغريب البحر إلى شاطئه، ولو سكنت الأمواج لبقي في البحر كل سمك ميت وكل غريب ضار، والله سخّر هذه الأمواج تحمل السفن العاتية التي تمخر عباب البحار، حاملة الناس والخير إلى بلاد بعيدة ما كان

الناس ليبلغوها إلا بشق الأنفس.

لله في الآفاق آيات

لعل أقلها أن إليه هداك

وكم في البحر من آياته

عجب عجاب لو تأملت عيناك

ثم انظر في كل ما حولك وتدبر وقل:

"لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)[١]،

فسبحان الذي خلق فسوى، وقدّر فهدى، وهو على كل شيء قدير.

ثانياً: نعم شبه عامة تشمل بعض الخلق:

(١) سورة الأنبياء آية (٢٢).

وهـذه النعـم أقـل في عموميتهـا الأولى لأنها: تخص أمـة دون أمـة، وفئـة دون أخـرى، وبلد دون بلد.

ومنهـا: نعمـة الهدايـة، فـأنت يـا ابـن الإسـلام خصك الله بنعم خاصة دون غيرك، أعظمها أن هداك للدين الحق، وشرح له صدرك دون جهد منـك ولا أذى ولا بـلاء، هـداك الله إلى دينـه القويم، وقـد أضـل عنـه قومـاً آخريـن، وحتـى تعرف قدر هذه النعمة تخيّل نفسك وقد سُـقْت مع الناس للمحشر والفصل بين العباد، ثم انظـر إلى النار وهي تزفر زفرات الغيـظ والحنـق علـى

العصاة والكافرين، وهم يحاولون اتقاء حرها... ثم استمع إليهم وهم ينطقون فيها ويصرخون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾[1]، عندها ماذا سيكون شعورك، لاشك أنك ستقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[2].

قال بكر بن عبدالله المزني رحمه الله: "من كان مسلماً، وبدنه في عافية، فقد اجتمع عليه سيد نعيم الدنيا، وسيد نعيم الآخرة؛ لأن سيد

---

(١) سورة المؤمنون، آية رقم (١٠٧).

(٢) سورة الأعراف، آية رقم (٤٣).

نعيم الدنيا هو العافية، وسيد نعيم الآخرة هو الإسلام".

وقال عبدالملك بن مروان: "ما قال عبد كلمة أحب إليه وأبلغ من الشكر عنده من أن يقول: الحمد لله الذي أنعم علينا، وهدانا للإسلام.

ومنها: أن جعل بلادك بلاد الإسلام بهذا الدين أمناً وأماناً يُتخطف الناس من حولنا، وفجّر لنا كنوزاً فأخرجت من الذهب أصفره وأحمره وأسوده، وجعله الله في الأخير وقوداً

يسّير دواب الناس فتحملهم في الأرض والبحر والجو، بل والأعجب من ذلك أن منه كساءً وأواني وآلات يعجز الإنسان عن عدها، وما كان الناس ليهتدوا إلى ذلك لولا أن هداهم الله إليه، فسبحان ذي الفضل والنعمة.

ومنها: أن الناس جاؤوا إلى بلاد المسلمين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم دنيوية وأخروية، فسخر الله لنا في بلادنا هذه من أصناف البشر وألوانهم ما لم يكن في الحسبان إدراكه.

ومنها: أن الله ﷻ سخّر لنا من المراكب والمساكن ما لم نكن نتصوره، واقرؤوا القرآن الكريم لتعرفوا فضل الله تعالى علينا، وإحسانه إلينا، ورحمته بنا، واجتهدوا في شكر الله على نعمه.

ثالثاً: نعم خاصة بالنفس:

والمراد بنعم الله على النفس، ما أودع الله فيها رتابة ونظاماً يحار فيها اللُبّ، وتنقطع دونه الأنفاس تدبراً وعجباً، ولذلك خصها الله ﷻ بالذكر في قوله:

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا

تُبْصِرُونَ﴾(١)

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾(٢)، فإذا اقتربت من نفسك قليلاً فستجد نفسك أمام نفسك بداية من بدنك الذي تراه إلى فكرك وروحك اللذيْن لا تراهما، ومن هذه البدائع في النفس:

حُسن الخِلْقة.. فالله ﷻ هيأ لك أجمل هيئة، ورزقك بأكمل العقول، ولسانك فصيح يعبر عن ما تراه العين وتسمعه الأذن ويخطر

---

(١) سورة الذاريات، آية رقم (٢٠، ٢١).
(٢) سورة فصلت، آية رقم (٥٣).

بالبال وتشعر به النفس، التي ما بها عرق، ولا عصب، إلا عليه أثر صُنْع الله ﷻ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾[1]،

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٧٨﴾[2].

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨

---

(١) سورة الإنفطار آية (٦-٨).

(٢) سورة النحل، آية رقم (٧٨).

﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾[1].

وفي النفس: أطراف بديعة الخلقة بيدين لهما أصابع مرتبة طولاً وقصراً وعقداً ومفاصل وأظافر تحمي الأنامل على أجمل ما يكون النسق، وأتم ما تكون الحاجة فسبحان الخالق البارئ المصور.

وفيها: الرأس وما أبدع الله فيه من حفظ العقل أو المخ في رأس الإنسان؛ لأنه أهم مكان، وبه مراكز الإحساس كلها، ولو تعطل

(١) سورة البلد، آية (٨-١٠).

لتعطل الكيان كله، فانظر إليه وقد جعله الله في أعلى البدن حتى يسهل على الإنسان تحريك رأسه لتفادي الخطر ولو كان في وسط الجسم لعسر ذلك، ثم انظر إلى ما كساه الله به، شعر يكسوه فيجمل صاحبه، ويحمي ما تحته، وتحت الشعر فروة رأس من الجلد السميك، ثم كرة من العظم القاسي وتحت غشاء بداخله سائل يجعل به ليونة ومرونة عند حركته، ثم جعل تحت ذلك تعاريج كثيرة تحوي أعصاباً عجيبة، وشعيرات دموية أعجب لتوصل الدم والإحساس إلى العقل ومنه.

وفيها: ما أشار إليه الإمام الغزالي رحمه الله في كتاب (الشكر) من كيفية احتياج الكبد إلى القلب والدماغ، واحتياج كل واحد من هذه الأعضاء الرئيسة إلى صاحبه، وكيفية انشعاب العروق الضوارب من القلب إلى سائر البدن، وبواسطتها يصل الحس وكيفية انشعاب العروق السواكن من الكبد إلى سائر البدن، وبواسطتها يصل الغذاء، ثم كيفية تركيب الأعضاء وعدد عظامها وعضلاتها وعروقها وأوتارها وأربطتها وغضاريفها ورطوباتها، وكل ذلك يحتاج إليه لأمور كثيرة، بل في الآدمي آلاف من

العضلات والعروق والأعصاب مختلفة في الصغر والكبر والدقة والغلظ وكثرة الانقسام وقلته، ولا شيء منها إلا وفيه حكم عظيمة، وكل ذلك نعم من الله تعالى عليك، لو سكن من جملتها عرق متحرك أو تحرك عرق ساكن لهلكت يا مسكين، فانظر إلى نعمة الله اولاً لتقوى بعدها على الشكر بإذن الله.

هذا إذا نظرنا إلى النعم من حيث درجات العموم والشمول التي تفوق العد والإحصاء.

ولو نظرنا إلى النعم من جهة الزمان

والعمر، لوجدنا أطواراً عجيبة، فيها نعم كثيرة، بداية من الحمل في البطن، ثم الولادة والطفولة، فالصبا ثم الشباب فالكهولة والهرم، وكل مرحلة تميز بطائفة من النعم جمّة، لا يحصيها إلا المنعم سبحانه وتعالى، وعلى أي طريقة أردت فصنّف، فحتى طرق الإحصاء والتصنيف لا تحصى، فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

قال ابن أبي الدنيا رحمه الله[١]: أنشدني محمود الوراق:

(١) كتاب الشكر لابن أبي الدنيا ص١٠٤ ط١.

إذا كان شكري نعمة الله نعمة

عليّ له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله

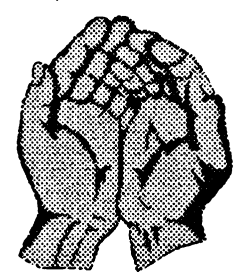
وإن طالت الأيام واتصل العمر

إذا مسّ بالسراء عمّ سرورها

وإن مسّ بالضراء أعقبها الأجر

وما منهما إلا له فيه منة

تضيق بها الوهام والبر والبحر



اللهم أعنا على ذكرك وشكرك

وحسن عبادتك

نِعَمٌ دقيقة لا يُنتفطن إليها:

يظن كثير من الناس أن النعم في الأمور الظاهرة فقط، من مثل ما أشرنا إليه سلفاً، بيد أن هناك نعم دقيقة لا يتفطن لها إلا من منّ الله عليه بالبصيرة، وهنا نحب الإشارة إلى بعضها تذكيراً بها، ودعوة إلى شكر مسديها ومنعمها ﷻ.

منها: أن الله ﷻ منّ عليك بأن جعلك من أبوين مسلمين يعينانك ويربيانك على البر والتقوى. وانظر لمن أسلم وأبواه على غير دين

الإسلام، أي حسرة تقطع قلبه وأي ألم ممضّ يشعر به، وأي جهود يبذلها لينقذ أبويه من النار... وتأمل حاله وهو ينظر إلى الآخرين بالغبطة.

ومنها: ما أشار إليه شريح رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: "ما أصيب عبد بمصيبة إلا كان لله عليه منها ثلاث نعم، أولها: أن لا تكون في دينه، ثانيها: أن لا تكون أعظم مما كانت، ثالثها: أنها لابد كانت، فقد كانت[1] .

---

(١) عدة الصابرين ص ١٠٠.

ومنها: أن تنظر إلى من حولك وتفكر في أحوالهم، ما هم فيه من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، وما تتقلب فيه، ظلال وارفة من الأمن والأمان، لا تخاف إلا الله جل وعلا.

ومنها: أن من أراد أن يعرف نعمة الله عليه بالصحة فلينظر إلى المصابين بالأمراض وفقد الأعضاء أو تعيبها، ليذهب إلى المستشفيات ليرى كم من مريض يئن؟ وجريح مثخن بالجراح؟ ويرى كم من فاقد للسمع أو البصر، أو هما جميعاً؟ وكم من مسكين يتمنى

هجعة من نوم، أو هدأة من وجع؟ حينها يعرف قدر نعمة الله عليه، وبضدها تتميز الأشياء.

إن تلف عضو واحد من هذه الأعضاء لا يعوضه ملايين الأموال، جاء رجل إلى يونس بن عبيد يشكو ضيق حاله، فقال له يونس: أيسرّك ببصرك هذه مائة ألف درهم؟ قال الرجل: لا. قال: فبيديك مائة ألف؟ قال: لا. قال فبرجلك مائة ألف؟ قال: لا. قال: فذكّره نعم الله عليه، فقال يونس: أرى عندك مئين الألوف وأنت تشكو الحاجة.

جاء عن الفضيل بن العياض رحمه الله أنه قرأ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩﴾[(١)] فبكى، فسُئل عن بكائه، فقال هل بِتّ ليلة شاكراً لله أن جعل لك عينين تبصر بهما؟ هل بت ليلة شاكراً لله أن جعل لك لساناً تنطق به؟ وجعل يعدّد من هذا الضرب[(٢)].

ومنها: ما ذكره النبي ﷺ في حديث عبد الله بن محصن رضي الله عنه، وفيه: "من أصبح

(١) سورة البلد آية (٨-٩).
(٢) جامع العلوم والحكم ٢/٧٤-٧٩.

منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا"[١].

إنها نعمة الأمن والعافية والرزق، وهي من أعظم نعم الله على عباده فيصبح الإنسان آمناً على دينه ونفسه وماله وعرضه، يعيش في طمأنينة وسعادة يخرج من بيته لا يخاف على نفسه وأهله مما يجعله مطمئناً في عمله فتزيد إنتاجيته مما ينعكس على إنتاجية البلد بشكل عام. فالأمن سبب للازدهار الاقتصادي، ودافع لأصحاب الأموال باستثمار أموالهم في هذا البلد

---

(١) رواه الترمذي من حديث عبيد الله بن محصن في الزهد حديث رقم ٣٤، وكذلك أخرجه ابن ماجه في الزهد رقم ٦.

الآمن، وانظر إلى البلدان التي اختل أمنها وانتشر فيها الذعر والخوف بسبب أنواع الجرائم من قتل وسرقة واختطاف وتفجير وإرهاب، وتأمل كيف انهار اقتصادها، وسقطت عملاتها بعد أن كانت في القمة، مما أدى إلى فقرها وتغرب مواطنوها بحثاً عن لقمة العيش، ولو شكروا لكان خيراً لهم وأقوم، ولكنه الكفر الذي يمحق البركات ويزيل النعم.

ومنها: نعمة اللباس، والمركب، وتوفر الغذاء ونحوه، فكل الناس يتمتعون بها، ولكن غفل عن شكرها كثيرون؛ مع كونها معهم

دائماً لا تفارقهم، ولا يعرف قدر النعمة إلا من حُرمها.

قال بعض السلف في خطبته يوم عيد: أصبحتم زهراً وأصبح الناس غبراً، أصبح الناس ينسجون وأنتم تلبسون، وأصبح الناس يعطون وأنتم تأخذون، وأصبح الناس ينتجون وأنتم تركبون، وأصبح الناس يزرعون وأنتم تأكلون، فبكى وأبكاهم.

ومنها: وهي من دقيق نعم الله على العبد التي لا يكاد يفطن لها: أنه يغلق عليه فيرسل الله إليه من يطرق عليه الباب يسأله شيئاً من القوت

ليعرفه نعمته عليه.

ومنها: ما أشار إليه النبي ﷺ ورتب عليه الأجر الكثير مع يسره وسهولته، كما في قوله ﷺ: **"كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس يَعدِلُ بين اثنين صدقة، وتعين الرجل على دابته فيُحمل عليها أو يرفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة"**[1] والسلامى هي

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير حديث رقم ٢٩٨٩ - باب من أخذ بالركاب ونحوه.

العظم. وفي جسم ابن آدم ثلاثمائة وستون عظماً يظهر منها مئتان وخمسة وستون عظماً والباقية صغار لا تظهر.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومعنى الحديث: أن تركيب هذه العظام وسلامتها من أعظم نعم الله على عبده، فيحتاج كل عظم منها إلى صدقة يتصدق ابن آدم عنه؛ ليكون ذلك شكراً لهذه النعمة، ولذلك قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه نعم من الله متظاهرة يقررك بها كيما تشكر"[1].

فالحديث يدل على أن تركيب هذه

---

(١) جامع العلوم والحكم ٢/٧٤-٧٩.

العظام وسلامتها من أعظم نعم الله على عبده، فيحتاج كل عظم منها إلى صدقة يتصدق بها عنه يومياً ليكون ذلك شكراً لهذه النعمة، ولما كان ذلك يستعدي صدقات كثيرة بعدد العظام وقد لا يستطيع العبد الوفاء بها سهل الله له طريق الخير وفتح له أبواب البر.

فجعل لكل عمل من الأعمال التي ذُكرت في الحديث صدقة، ثم قال ﷺ: **"ويجزئ عن ذلك كله ركعتان من الضحى يركعهما"**، وهذا التخفيف من الله نعمة أخرى تحتاج إلى شكر.

ومنها: أن يلبس الله العبد في جسمه لباس الصحة والعافية، وفي هذا المعنى قال أبو الدرداء رضي الله عنه: الصحة غناء الجسم، وقال وهب بن منبه رحمه الله: مكتوب في حكمة آل داود: العافية المُلْك الخفي، وفي بعض الآثار "كم من نعمة في عرق ساكن"؟ وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ"**.

والله ليُسألنّ الإنسان عن هذه النعمة يوم القيامة، قال سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ

عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾، روى الترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم فيقال له: ألم نصحّ لك جسمك ونروّك من الماء البارد".

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: النعيم: الأمن والصحة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: النعيم: صحة الأبدان والأسماع والأبصار، يسأل الله العباد فيم استعملوها وهو أعلم بذلك منهم.

و قال سلام بن أبي مطيع: دخلت على مريض أعوده فإذا هو يئن، فقلت له: اذكر

المطروحين على الطريق، اذكر الذيـن لا مـأوى لهم ولا لهم من يخدمهم، قال: ثم دخلـت عليـه بعد ذلك فسـمعته يقـول لنفسـه: اذكـري المطروحين في الطريق، اذكري من لا مـأوى لـه ولا له من يخدمه.

وماذا بعد؟

بعد أن عرفنا نعم الله علينا ولمسناها، وأقمنا الحجة على أنفسنا بالتدبر في أنفسنا وما حولنا بعد أن أقام علينا بالغ حجته.

فماذا ينبغي أن نفعل؟

ينبغي أن نشكر الله ﷻ، وأن نقوم بما ينبغي علينا تجاه ربنا وخالقنا سبحانه شكراً عملياً وذكراً مستمراً وطاعة ليست معها معصية.

خاتمة ...

تلك أخي المسلم كانت تطوافة عاجلة ولجنا فيها أبواب بعض النعم فاطلعنا على أهلها إطلالة سريعة، فرأينا العجائب، ووقفنا على الغرائب ثم رأينا أصناف الشاكرين وقلتهم في العالمين، وعرفنا كيف ينبغي للمسلم أن يقف مع نفسه وقفة تخفف عنه شدة وقفة يوم القيامة فبسطنا بتوفيق الله طرائق شكر النعم لمن أراد أن يشكر لنفسه وأوضحنا حقيقة الشكر وكيفيته ومبادءه وقواعده، ثم كان أن ختمنا بشكر من نوع آخر لا مثيل له ولا مزيد عليه وهو شكر من الأعلى إلى الأدنى، شكر من

رب النعمة على عباده، فكان مسك الختام.

وأسأل الله ﷻ أن يمن عليّ وعليكم بشكر نعمته، وحسن عبادته، ودوام ذكره، وأن يثبتنا على القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة، وأن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب، وأن يجعلنا ممن إذا أُعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإن هؤلاء الثلاثة عنوان السعادة.

وأسأله ﷻ أن يصلح أحوال المسلمين وأن يمنحنا الفقه في الدين وأن يوفقنا وإياكم لشكر نعمة الله سبحانه والاستعانة بها على طاعته ونفع عباده إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[1]

---

(١) تعرف هذه الجملة بـ (الحوقلة)، وهي لفظة مبنية من قول (لا حول ولا قوة إلا با لله)، والمعنى : إظهار الفقر إلى ا لله تعالى بطلب المعونة على ما يزاوله القائل من الأمور، وهذا من تحقيق العبودية لله ﷻ كما قال ﷻ : ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ (الفاتحة : ٤) أي : نستعين بك على عبادتك.

ومعنى الحول : الحيلة، والقوة، ولما سئل عبدا لله بن مسعود رضي الله عنه عن معنى (لا حول ولا قوة إلا با لله) قال : (لا حول عن معصية ا لله إلا بعصمة ا لله، ولا قوة على طاعة ا لله إلا بمعونة ا لله) (جامع الأصول ٤/٣٩٨).

ومما جاء في فضائلها قوله ﷺ لعبد ا لله بن قيس رضي الله عنه : (ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟) فقال عبدا لله : بلى يا رسول ا لله، قال : (قل : لا حول ولا قوة إلا با لله) (رواه البخاري ١١/١٥٩، ومسلم حديث رقم ٢٧٠٤).

وعن حازم بن حرملة رضي الله عنه قال : مررت بالنبي ﷺ فقال : (يا حازم

((أعـوذ بعـزة الله وعظمتـه وقدرتـه وسلطانه وجلاله، من شر ما خلـق وذرأ وبـرأ، ومن شر ما تحت الثرى، ومن شر كل دابة ربي آخذ بناصيتها، إن ربـي علـى صـراط مستقيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ملجـأ كل هارب، ومأوى كل خائف.

أكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها من كنوز الجنة).

(رواه الترمذي حديث رقم ٣٥٦٩، وابن ماجه برقم ٣٨٢٦، وصححه الألباني في المشكاة ٢٣١٩).

وعن سعد بن عبادة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : (ألا أدلك على بـاب من أبواب الجنة؟) قال، قلت : بلى يا رسول الله، قال : (لا حول ولا قوة إلا بالله).

(رواه الترمذي حديث رقم ٣٥٧٦، وهو حديث حسن).

فما أيسر العمل، وما أعظم الثواب، وهذا كنز من كنوز الجنة، وبـاب مـن أبوابها قد فُتح بين يديك -يا عبدالله- فالبدار البدار قبل فوات الأوان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لا حول ولا قوة إلا با لله العلي العظيم:

أقـي بهـا نفسـي وديـني وأهلـي ومــالي، وجميع نعم إلهي ومولاي وسيدي عندي، وأنجـو بها من إبليس وخيْلِهِ ورَجْلِهِ، وشياطينه ومردتـه وأعوانـه، وجميـع الإنــس والجــن وشــروروهم، وأمتنع بها من ظلـم مـن أراد ظلمـي مـن جميـع خلق ا لله.

لا حول ولا قوة إلا با لله العلي العظيم:

أتْعَسُ بها جهد من بغى بها عليّ، وأكفُّ بها عدوان من اعتدى عليّ، وأُضْعِفُ بها كيد

من كادني، وأزيل بها مكر من مكر بها علـــيّ، وأُبطـل بهــا سـعي مــن سـعى علـيّ مــن جميــعِ خلق ا لله.

لا حول ولا قوة إلا با لله العلي العظيم:

أُذِلّ بها من تَعَزّز علــيّ، وأهـين بهـا مــن أهانني، وأَقْصِمُ بها ظهر ظالمي، وأقدِر بها علــى ذا القدرة عليّ، وأستدْفِعُ بهـــا شــر مــن أرادنــي بشر من جميع خلق ا لله.

لا حول ولا قوة إلا با لله العلي العظيم:

استغاثة بعـزة ا لله، واسـتغاثة بقــوة ا لله،

واستجارة بقدرة الله، وأستعين بها على محياي ومماتي، وعند نزول ملك الموت بي، ومعالجة سكراته وغمراته، وأحصّن بها روحي وجسدي.

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم:

إذا أُدخِلتُ قبري فريداً وحيداً خالياً بعملي، وأستعين بها على محشري إذا نُشرت لي صحيفتي، ورأيت ذنوبي وخطاياي، وطال في القيامة وقوفي واشتد عطشي، وأُثقّل بها الميزان عند الجزاء إذا اشتد خوفي، وأجوز بها الصراط مع الأولياء، وأثبّت بها قدمي.

لا حول ولا قوة إلا با لله العلي العظيم:

أستقر بها في دار القرار مع الأبرار، عدد ما قالها وما يقولها القائلون، منذ أول الدهر إلى آخره، عدد ما احصاه كتاب ا لله، وأحاط به علمه، وأضعاف ذلك، أضعافاً مضاعفة، وكل ضعف يتضاعف أضعاف ذلك، أضعافاً مضاعفة، أبد الأبد، ومنتهى العدد بلا أمد، عدد لا يحصيه إلا هو، ولا يحيط به إلا علمه، ولا حول ولا قوة إلا با لله))[1].

---

(١) كتاب الورد المصفى للملك عبدالعزيز آل سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

استغفار

((**اللهم** إني أستغفرك مما تبت إليك منه، ثم عُدْتُ فيه.

وأستغفرك لما جعلتُه لك على نفسي فلم أُوَفِّ لك به.

وأستغفرك مما زعمتُ أني أردتُ به وجهك الكريم فخالط قلبي ما قد علمتَ.

اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل محمد،

كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، في العالمين، إنك حميد مجيد[١].

سبحانك اللهم وبحمدك .. أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك))[٢]..

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله: (وأكملُ ما يُصلى به عليه، ويصل إليه، هي الصلاة الإبراهيمية كما علّمه أمته أن يصلوا عليه، فلا صلاة عليه أكمل منها، وإن تحذلق المتحذلقون) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ٢/٣٩٤.

والمراد بالصلاة الإبراهيمية الصلاة عليه بما يُصلى عليه في التشهد الأخير من الصلاة على نحو ما ذكرناه أعلاه، وسميت (إبراهيمية) لما فيها من ذكر الصلاة على إبراهيم عليه السلام.

(٢) كتاب الورد المصفى للملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله.

الفهرس